الأضداد

في القرآن الكريم

تأليف الدكتور

عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني

أستاذ اللغة العربية والنحو القرآني

الطبعة الثانية

الموصل

١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

المقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ ، مَـلِكِ يَـوْمِ الـدِّينِ ، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ عَلَـى مُحَمَّـدٍ رَسُولِ الله ، وخـاتَمِ النَّبيـين ، وعَلَـى آلِـهِ وأصْـحابِهِ أجْمَعِـين ، مـن الأنصـارِ والمهـاجرين ، والـذين اتبعـوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد ، فهذا كتابي : الأضداد في القرآن الكريم ، أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفـع بـه البـاحثين والدارسـين ، وأسـأله سـبحانه ، أن يتقبَّلـه منِّـي عمـلًا خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين .

الأضـداد مصـطلح استعمله اللغويـون العرب القدامى فـي الألفـاظ التـي يُطلَق كلٌّ منها على معنيين متضادّين ، كإطـلاق الريَّان علـى الريَّان والعطشان ، والسـليم علـى السـليم والملـدوغ ، والبصـير علـى البصـير والأعمـى ، وكـالجَون للأسـود ، والجَـون للأبـيض ، والجَلَـل للكبيـر ، والصـغير ، والمسـجور للمـلآن والفـارغ ، والقُـرْء للطهـر ، والحـيض ((والمحققـون مـن علمـاء العربيـة ينكـرون الأضداد ويدفعونها ، قال ثعلب : ليس في الكلام ضدَّ ، قال : لأنَّه لو كان فيه ضدّ لكان الكلام محالًا)) [١]

ليس من الأضداد : قال الدكتور رمضـان عبد التواب ، ((كما نشترط اتحـاد الكلمـة ومتعلقاتهـا فـي المعنيين ؛ لأنَّ أي تغييـر فيهـا ، أو فـي متعلقاتهـا يخرجها عن كونها بذاتها تحتمل المعنيين المتضـادين ، فلا نعدَّ لذلك : ظـاهر عنك بمعنـى زائل ، وظـاهر عليك بمعنـى لازم مـن كلمـات الأضـداد ، كمـا أنَّـه ليس من الأضداد كذلك : راغ علـى ، بمعنـى أقبل ، وراغ عن ، بمعنـى ولَّـى ، وليس منها : ترب الرجلُ ، بمعنى افتقر ، وأترب بمعنـى استغنى (كما جاء هذا فـي كتـب الأضـداد) وقد أحسـن ابن الأنبـاري ، إذ قـال : وهذا عنـدي لـيس من

---

(١) فصول في فقه اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص ٣٣٧

الأضداد ؛ لأنَّ ترب يخالف أترب ، فلا يكون ترب من الأضداد ؛ لأنَّه لا يقع على معنى واحد [١]

كما أنَّنا لا نعدُّ من الأضداد ما ترك اللغويون العرب الاستشهاد على أحد معنييه...كذلك نستبعد من كلمات الأضداد تلك التي صحَّفها اللغويون ، أو حرَّفوها ، ففي الأضداد لابن الأنباري : وقال بعض العرب : برَّدتُ من الأضداد يقال : برَّد الشيءَ على المعنى المعروف ، ويقال : برَّد الشيءَ : إذا أسخنه ، واحتجوا بقول الشاعر :

عافتِ الشُّربَ في الشتاء فقلنا برِّديه تصادفيه سخينًا

ولا شكَّ أنَّ هذا تحريف لعبارة : برِّديه ، فقد قال ابن الأنباري تعليقًا على ذلك : قال أبو بكر ، وحكى بعض أصحابنا عن أبي العباس أنَّه كان يقول في تفسير هذا البيت : بل ردِّيه من الورود ، فأدغم اللام في الراء ، فصارتا راء مشددة [٢]
وقال أبو الطيب في التعليق على البيت ، قال قطرب : معنى برِّديه في هذا البيت : سخِّنيه ، وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنَّما هو: بل ردِّيه ، ولكنَّه أدغم اللام في الراء ، قال أبو الطيب ، وبه يستقيم معنى البيت[٣]))[٤]

((والحقيقة أنَّ كثيرًا من ألفاظ التضاد يمكن تأويله على وجه آخر يخرجه من هذا الباب ، ففي بعض الأمثلة استعمل اللفظ في ضدّ ما وُضع له لمجرد التفاؤل كالسليم للملدوغ ، والريّان والناهل للعطشان ، أو للتهكم كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه ، وقد يجيء التضاد في الظاهر من اختلاف مؤدى المعنى الواحد باختلاف المواقع ، وذلك مثل كلمة (فوق) التي قالوا إنَّها قد

(١) الأضداد لأبي بكر ص ٢٢٨ رقم اللفظ٢٩١

(٢) الأضداد لأبي بكر ص ٥٠ رقم اللفظ ٣١

(٣) الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيِّب ص ٨٠

(٤) فصول في فقه العربية ص ٣٤٠-٣٤٢

تستعمل في ضد معناها الأصلي ، فتأتي بمعنى (دون) كما في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا){البقرة : ٢٦} أي : فما دونها ، والحق أنَّها في هذا المثال ، وما إليه تدلُ على معناها الأصلي ، إذ تفسير الآية : ما يفوق الذبابة حقارة)) [١]

عوامل نشأة الأضداد في اللغة : هناك عوامل كثيرة أدَّت إلى نشأة الأضداد نجملها فيما يأتي :

١-دلالة اللفظ في أصل وضعه على معنى عام يشترك فيه الضدان ، قال أبو بكر : ((وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالأصل لمعنى واحد ، ثمَّ تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك الصريم يقال لِلَّيل صريم ، وللنهار صريم ؛ لأنَّ الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع ، وكذلك الصارخ المغيث ، والصارخ المستغيث ، سُمَّيا بذلك ؛ لأنَّ المغيث يصرخ بالإغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد)) [٢] ومن ذلك كلمة الذفر ، تذكرها كتب الأضداد بمعنى الريح الطيبة ، وبمعنى الريح الخبيثة ، والمعنى الأصلي للكلمة هو الريح مطلقًا ، ثم استعملت مقيدة بمعنى الريح الطيبة ، أو بمعنى الريح المنتنَّة ، وهذا ما نبَّه عليه أبو بكر فقال : ((والذَّفَر : حِدَّة الريح في الطيِّب والنتن جميعًا)) [٣] ومن ذلك كلمة الطرب معناها في كتب الأضداد : الفرح والحزن ، والأصل في هذا المعنى : خِفَّة تصيب الرجل ؛ لشدة السرور ، أو لشدة الفرح ، وقد قال ابن الأنباري :

---

(١) موسوعة علوم اللغة العربية للدكتور إميل بديع يعقوب ٤/٥٠٩-٥١٠

(٢) الأضداد ص ١٧ مقدمة المصنف

(٣) الأضداد ص ٦٤ رقم اللفظ ٥٠

((الطرب ليس هو الفرح ، ولا الحزن ، وإنَّما هو خِفّة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه))[١]

٢-تداخل اللغات : قال أبو بكر ((وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون الأبيض في لغة حي من العرب ، والجون الأسود في لغة حي آخر ، ثمَّ أخذ أحد الفريقين من الآخر)) [٢]

٣-التفاؤل : كتسمية الأعمى بالبصير ، والملدوغ بالسليم ، والمهلكة بالمفازة ، والعطشان بالريّان ، ومثل كلمة المسجور ، تطلق هذه الكلمة على المملوء والفارغ ، والظاهر أنَّ المملوء هو الأصل ، ويُطلق المسجور على الفارغ تفاؤلا بامتلائه ، قال أبو بكر : ((ومن الأضداد أيضًا المفازة ، تقع على المنجاة ، وعلى المهلكة ، واختلف الناس في الاعتلال لها ، لمَ سميت مفازة على معنى التهلكة ، وهي مأخوذة من الفوز ؟ فقال الأصمعي وأبو عبيد وغيرهما : سميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز، كما قيل للأسود : أبو البيضاء ، وقيل للعطشان : ريان)) [٣]وقال : ((والسليم حرف من الأضداد ، يقال : سليم للسالم ، وسليم للملدوغ...وقال الأصمعي وأبو عبيد : إنَّما سمي الملدوغ سليمًا على جهة التفاؤل بالسلامة)) [٤]

(١) الأضداد ص ٧٣ رقم اللفظ ٥٧

(٢) الأضداد ص ١٨-١٩ مقدمة المصنف

(٣) الأضداد ص ٧٤ رقم اللفظ ٥٩

(٤) الأضداد ص ٧٤-٧٥ رقم اللفظ ٦٠

٤-التهكّم : لا شكَّ أنَّ عامل التهكّم والهزء والسخرية من العوامل التي تؤدي إلى قلب المعنى وتغيير الدلالة إلى ضدّها كتسمية الذليل بالعزيز ، فأصل كلمة التعزير في العربية : التعظيم ومنه قوله تعالى : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا){الفتح : ٩} غير أنَّها تستعمل في معنى التأديب والتعنيف واللوم تهكمًا واستهزاءً بالذنب ،

٥-الخوف من الحسد ، ككلمة الشوهاء يوصف بها الفرس القبيح ، والجميل ، فيقال : مهرة شوهاء ، إذا كانت قبيحة ، ومهرة شوهاء ، إذا كانت جميلة ، ولا شكَّ أنَّ مادة (شوه) تعني التشويه والقبح ، وإطلاق الكلمة على المهرة الجميلة ، إنَّما هو من باب درء العين والحسد .

٦-التطور اللغوي : من ذلك أنَّ بني عقيل يقولون : لمقتُ الكتاب بمعنى كتبتُه ، وسائر بني قيس يقولون : لمقتُ الكتاب ، بمعنى : محوته ، والذي حصل أنَّ كلمة لمقتُ عند بني عقيل تطورت من كلمة نمقتُ ، التي بمعنى : كتبتُ ، فأبدلوا النون لامًا ، فقالوا : لمقتُ الكتاب ، والأصل : نمقت الكتاب

٧-المجاز والاستعارة : وأوضح مثال لهذا العامل ، هو إطلاق كلمة الأمَّة على الجماعة ، وعلى الفرد ، فإنَّه مما لا شكَّ فيه أنَّ الفرد لا يقال له أمَّة إلّا على التشبيه بالجماعة على وجه المبالغة ، فيقال عن هذا العالم أو ذاك : كان أمَّةً وحده ، يعني : أنَّه كان في رجحان عقله ، وحِدَّة ذكائه جماعة بأسرها .

٨-احتمال الصيغة العربية للمعنيين ، كصيغة فاعل مثلًا ، تستعمل أحيانًا بمعنى مفعول ، إلى جانب استعمالها في معناها الأصلي .

٩-التصحيف : كجعل أسرَّ بمعنى أظهر ، وهو تصحيف من أشر

ويشترط في الأضداد أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيين متضادين من

دون تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها ، فليس من الأضداد مثلًا تربَ الرجلُ ، بمعنى : افتقر ، وأترب ، بمعنى : استغنى[١]

وألَّف في الأضداد جماعة من أئمة اللغة ككتاب الأضداد لقطرب المُتوفّى ٢٠٦هـ ، وكتاب الأضداد للفرّاء المتوفى ٢٠٧هـ ، وكتاب الأضداد لأبي عبيدة المتوفى٢٠٩هـ ، وكتاب الأضداد للأصمعي المتوفى ٢١٦هـ ، وكتاب الأضداد لأبي عبيد المتوفى ٢٢٤هـ ، وكتاب الأضداد لعبد الله بن محمد التَّوَّزي المتوفى ٢٣٨هـ وكتاب الأضداد لابن السكيت المتوفى ٢٤٤هـ ، وكتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني المتوفى٢٤٨هـ ، وكتاب الأضداد لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ ، وكتاب الأضداد لثعلب المتوفى ٢٩١هـ ، وكتاب إبطال الأضداد لابن درستويه المتوفى ٣٤٧هـ ، وأشهر الكتب التي صُنِّفت في الأضداد وأوسعها : الأضداد ، لأبي بكر بن الأنباري المتوفى ٣٢٨هـ ، فقد أتى على جميع ما أُلِّف قبله وزاد[٢] قال في مقدمته : ((وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنّفوا في إحصائها كتبًا ، نظرتُ فيها فوجدتُ كلَّ واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءًا ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال ، فرأيتُ أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ؛ ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه ، إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يُعدَم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ،

---

(١) ينظر : فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب ص٣٣٦-٣٥٧ وموسوعة علوم اللغة العربية ٤/٥١٠-٥١١

(٢) ينظر : الأضداد لأبي بكر الأنباري ، مقدمة المحقق ، والمصنف ، والأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيِّب اللغوي ، مقدمة المحقق ، والمصنف ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١/٣٨٧-٤٠٢ ، وموسوعة علوم اللغة العربية ٢/٢٧٩-٢٨٠ ، ٤/٥٠٩-٥١١

واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد)) [1] ثمَّ يأتي من بعده : الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيِّب اللغوي المتوفى ٣٥١هـ ، وقد اشتمل هذان الكتابان على أضداد وردتْ في كلام العرب ، ولم ترد في كلام الله ، أو ورد أحد الضدين في اللغة ولم يرد في القرآن الكريم ، أو على ألفاظ لم تتضح فيها ظاهرة التضاد ، أو التي عبَّر عنها بأشباه الأضداد ، أو على أضداد كثيرة ذكرها المصنف لكنه ردَّها ، أو على ألفاظ فُسِّرت تفسيرين متضادين في الشاهد نفسه ، أي : أنَّ التضاد لم يأتِ من ذات اللفظ ، بل من اختلاف أهل التأويل فيه على مذهبين متضادين ، فهذا ما سأهمله كلَّه ، إلّا ما رغبتُ في التنبيه عليه ، وبعد إهمالي هذا كلّه ، لم أجد من الألفاظ القرآنية التي ذكرها المصنّفان في هذين الكتابين ، وتكررت في شواهد قرآنية على معنيين متضادّين ، وتستحق الدراسة إلّا ما يأتي :

١-**إذ وإذا** : قال أبو بكر بن الأنباري ((وإذ وإذا حرفان من الأضداد ، تكون إذ للماضي ، وإذا للمستقبل ، وهذا هو المشهور ، وتكون إذ للمستقبل ، وإذا للماضي إذا شُهر المعنى ، ولم يقع فيه لبس ، فأمَّا كون إذ للماضي ، وإذا للمستقبل فشهرته تغني عن إقامة الشواهد عليه ، وأمَّا كون إذ للمستقبل فقول الله تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم){سبأ : ٣١} أراد المستقبل ، وكذلك قوله تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ){سبأ : ٥١} معناه : إذا يفزعون ، وقال جلَّ جلاله : (وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ){المائدة : ١١٦} معناه : وإذا يقول ...وقال بعض أهل العلم : إنَّما جاز أن تكون إذ بمعنى إذا في قوله تعالى : (إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ){مريم : ١١٠} لأنَّه لمَّا وقع في علم الله عز وجل أنَّ هذا كائن لا محالة كان بمنزلة الشاهد الموجود ، فخبَّر عنه بالمضي ،

---

(١) الأضداد ص ١٩ مقدمة المصنف

كما قال تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ){الأعراف : ٤٤} وهو يريد : وينادي)) [١]

لا يصحّ أن ندخل مجيء إذا ظرفًا للزمن المستقبل في مواضع ، وظرفًا للزمن الماضي في مواضع أُخَر في باب الأضداد ؛ لأنَّ المعنى الأساسي لـ(إذا) هو الشرط ، أمَّا ظرفيتها الزمانية فهو معنى ملازم لها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ هذه الظرفية الملازمة لها غير مقيدة بزمن المستقبل ، بل هي ظرفية عامَّة ، حتى إنَّ النحاة لم يختلفوا في جواز دلالتها على المضي، وإذا كانوا قد عرَّفوها بأنَّها ظرف لما يستقبل من الزمان فإنَّما أرادوا دلالتها على الاستقبال في الأصل ؛ والدليل على ذلك أنَّ ثمة شواهد قرآنية كثيرة وردت فيها (إذا) الشرطية دالَّة على الزمن الماضي ، ولم أجد أحدًا من المفسرين من قلب دلالتها إلى المستقبل بالتأويل ، بل أجمعوا على تفسيرها بدلالة الزمن الماضي، من ذلك مثلًا قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) [الكهف: ٩٣] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا) [الكهف: ٩٦] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) [الكهف: ٩٦][٢] وذكر ابن هشام أنَّ (إذا) تخرج عن الاستقبال وتجيء للماضي ، كقوله تعالى: (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ) [التوبة: ٩٢] وقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا) {الجمعة : ١١} [٣] ومن أمثلة مجيئها للماضي أيضًا قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا) [يوسف: ١١١] وقوله

---

(١) الأضداد ص ٨١–٨٢ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيَّب ص ٤٨

(٢) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي ٣/٢٧٠ ، والجنى الداني للمرادي ص١٨٨، ٣٧١ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٦٣ .

(٣) مغني اللبيب ١/ ٩٥ وينظر : همع الهوامع للسيوطي ٢/ ١٧٩.

تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل : ٥٨} وقوله تعالى: (إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) [الكهف :١٧] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) [الكهف: ٧١] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) [الكهف: ٧٤] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا) [الكهف: ٧٧] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) [الكهف: ٨٦] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا) [الكهف: ٩٠] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ) [النمل: ١٨] وقوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا) [غافر: ٣٤] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ) [يونس: ٩٠].

فـ(إذا) التي تكون للماضي شرطية ، و(إذا) التي تكون للمستقبل شرطية ، فمعناها في كلا الزمانين واحد ولا أضداد ، فهي ظرفية مضمَّنة معنى الشرط ، أمَّا (إذ) فهي ظرفية غير مضمَّنة معنى الشرط ، وهذا فرق أساسي بينهما ، ولم ترد إلّا لما مضى من الزمان(١) وما جاء منها للمستقبل فهو من باب التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه ، وهذا ما نبَّه عليه مصنف الأضداد نفسه بقوله الذي تقدم ذكره : ((وقال بعض أهل العلم : إنَّما جاز أن تكون إذ بمعنى إذا في قوله تعالى : (إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ){مريم : ١١٠} لأنَّه لمَّا وقع في علم الله عز وجل أنَّ هذا كائن لا محالة كان بمنزلة الشاهد الموجود ، فخبَّر عنه بالمضي ، كما قال تعالى : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ){الأعراف : ٤٤})) قال المرادي : إنَّ نحاة أجازوا أن

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ١٨٥-١٨٦ومغني اللبيب ١/ ٨٠ والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٨١٢ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٢

تكون (إذ) ((ظرفًا لما يستقبَل من الزمان بمعنى (إذا) ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين منهم ابن مالك ، واستدلوا بقول الله تعالى : (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {٧٠} إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ){غافر : ٧٠-٧١} وبآيات أُخَر ، وذهب أكثر المحققين إلى أنَّ (إذ) لا تقع موقع (إذا) ولا (إذا) موقع (إذ) ، وهو الذي صححه المغاربة ، وأجابوا عن هذه الآية ونحوها بأنَّ الأمور المستقبلة لمَّا كانت في إخبار الله تعالى متيقَّنَة مقطوعًا بها عُبِّرَ عنها بلفظ الماضي ، وبهذا أجاب الزمخشري وابن عطية وغيرهما)) [1]

وقال ابن هشام : ((أن تكون اسمًا للزمن المستقبل نحو قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا){الزلزلة : ٤} والجمهور لا يثبتون هذا القسم ، ويجعلون الآية من باب قوله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا){الكهف : ٩٩} أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع)) [2]

وجاء في الدر المصون : (((إِذِ الأَغْلالُ) والذي حسَّن هذا تيقن وقوع الفعل فأُخرج في صورة الماضي ، قلتُ : ولا حاجة إلى إخراج (إذ) عن موضوعها ، بل هي باقية على دلالتها على المضي))[3]

فـ(إذ) في هذا الوجه جيء بها للتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقق وقوعه وإنزاله منزلة ما قد وقع ، فهي كالوجه السابق استعملت للزمن الماضي ، ولا أضداد أيضًا .

وقد تناولت دراسة إذ وإذا في مؤلفاتي السابقة ، ومن النتائج التي انتهت إليها دراستي فيهما أنَّ (((إذا) في كتب النحو وفي كتب حروف المعاني تجيء في اللغة والقرآن الكريم على ثلاثة أوجه : ظرفية مضمنة معنى الشرط ، وظرفية محضة غير مضمنة معنى الشرط ، وفجائية ، هذا ما اتفقوا عليه ولم

([1]) الجنى الداني ص ١٨٨ .

([2]) مغني اللبيب ٨١/١.

([3]) ٤٩٤/٩

يختلفوا فيه[١] وقد توسعتُ في دراستها في أحد مؤلفاتي[٢] وتبين لي ((أنَّ (إذا) التي ذكر النحاة أنَّها ظرفية غير مضمنة معنى الشرط ، تختلف عن الظروف ، فهي ليست ظرفية مجردة من كل معنى من معاني الشرط ، بل فيها من الشرط أمران ، الأول : أنَّ الفعل الماضي بعدها يفيد تكرار حدوثه ، والثاني: أنَّه تتغير دلالته من الزمن الماضي إلى زمن الحال والاستقبال ، ولم تفقد من الشرط إلّا الجواب ، فـ(إذا) الشرطية إذن في القرآن الكريم تأتي على ثلاثة أقسام : قسم ذكر شرطها وصُرِّح بجوابها ، وقسم ذكر شرطها وحذف جوابها لوجود ما يدلّ عليه أو لكونه مفهوما من السياق ، وقسم اكتُفي بشرطها ولم يُذكر جوابها لعدم الحاجة إليه ، وهذا يعني أنَّه ليست ثمة (إذا) ظرفية غير مضمنة معنى الشرط ، كما زعم النحاة والمفسرون))[٣] فتكون (إذا) في القرآن الكريم على وجهين : ظرفية شرطية ، وفجائية

تقدَّم في ذكر الفرق بين (إذ) و(إذا) أنَّ (إذ) لا تكون إلّا ظرفا لما مضى ، وما دلّ منها على الاستقبال ، فهو من باب التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي ؛ لتحقق وقوعه ، وهو كثير في القرآن الكريم ، أمَّا (إذا) فتجيء لما مضى ولما يستقبل على حد سواء ، ولا عبرة في هذا الفرق ، لكنْ ثمة فرق أساسي بينهما لم يتحدث عنه النحاة والمفسرون ، وهم يصرِّحون بأنَّ (إذ) تجيء مثل (إذا) فيما يستقبل ، وهو أنَّ (إذا) باستثناء الفجائية لا تجيء إلاَّ مُضمَّنة معنى الشرط ، أمَّا (إذ) فهي ظرفية فحسب ، مجردة من معنى الشرط ومن لوازمه .

---

(١) ينظر : الأزهية في حروف المعاني ص ٢١١-٢١٢ ورصف المباني ص ١٤٩-١٥٠ والجنى الداني ص ٣٦٧-٣٧٣ ومغني اللبيب ١/٩٤ ، ١٠٠ والبرهان في علوم القرآن ص ٨٠٧ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٦.

(٢) ينظر : دراسات في النحو القرآني ص ٢٠٢-٢٧٢ .

(٣) دراسات في النحو القرآني ص ٢٥٥-٢٥٦ .

فالكلام باستعمال (إذ) لا يُرَتَّبُ عليه حكم أصولي أو قاعدة شرعية ؛ لأنَّ ما بعدها يتعلق بقضية قد مضت وانقضت ؛ لذلك لا يصلح العمل بموجبها فيما يستقبل ، كقوله تعالى : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)){النساء : ٦٤} فباستعمال (إذ) يكون جوابها مرتبطًا بأمر قد انقضى لا يمكن أن يستمر ، لارتباطها بزمان ومكان معينين ، من ذلك استمرار وجود الرسول صلى الله عليه وسلم حيًّا بين ظهراني المسلمين ، وإنَّما العمل بموجبها وجعلها أصلًا من أصول العقيدة الإسلامية وقاعدة شرعية عامَّة في كل زمان ومكان ، إنَّما يكون باستعمال (إذا) وهذا ما تجده في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){آل عمران ١٣٥}

٢-**الأمَّة** : قال أبو بكر : ((والأمَّة حرف من الأضداد ، يقال : الأمَّة للواحد الصالح الذي يؤتم به ، كقوله عز وجلّ : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ){النحل : ١٢٠} ويقال الأمَّة للجماعة ، كقوله عز وجل : (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ){القصص : ٢٣}))[١] قال ابن قتيبة : ((أصل الأمَّة صنف من الناس...ثم تصير الأمَّة : الإمام والرباني ، كقوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا) أي : إمامًا يقتدي به الناس ؛ فسمِّي أمَّة ؛ لأنَّه سبب الاجتماع ، وقد يجوز أن يكون سمِّي أمّة ؛ لأنَّه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمَّة ، ومن هذا يقال : فلان أمَّة وحده ، أي : هو يقوم مقام أمَّة)) [٢] وقال ابن عطية : ((ثمَّ يُشبَّه الرجل العالم أو الملك أو المنفرد بطريقة وحده بالناس الكثير فيسمَّى أمَّة وعلى هذا الوجه سمِّي إبراهيم عليه السلام أمَّة...وقال مجاهد : سمِّي إبراهيم أمَّة لانفراده بالإيمان في

---

(١) الأضداد ص ١٦٧

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٩ وينظر : تفسير غريب القرآن ص ٢٤٩

وقته مدة)) [1] فالأمَّة ليست من الأضداد ؛ لأنَّ تسمية الواحد بالأمَّة جاء من باب التشبيه ، فهو يدخل في باب المجاز لا في باب الحقيقة ، أي : أنَّ العرب لا يقولون : فلان أمَّة ، إلاَّ في باب المجاز .

٣-**إن** : قال أبو بكر : ((وقال بعض أهل العلم : إن حرف من الأضداد ، أعني المكسورة الهمزة الساكنة النون ، يقال : إن قام عبد الله ، يراد به : ما قام عبد الله ، حكى الكسائي عن العرب : إن أحد خيرًا من أحد إلّا بالعافية ، فمعناه : ما أحد...قال جماعة من العلماء في تفسير قوله عز وجل : (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى){الأعلى : ٩} معناه : فذكر قد نفعت الذكرى ، وكذلك قالوا في قوله : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ){الأحقاف : ٢٦} معناه : في الذي قد مكنَّاكم فيه...فالذي احتجَّ به أصحاب القول الأول من قوله عز وجل : (فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ) ليس الأمر ؛ لأنَّه أراد : في الذي ما مكنَّاكم فيه ، وفي الذي لم نمكنكم فيه ، فإنَّ معناها الجحد ، وليست إيجابًا ، ولا حجة لهم أيضًا في قوله : (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) لأنَّ (إن) ليست إيجابًا ، وإنَّما معناها الشرط ، والتأويل : فذكِّر إن نفعهم تذكيرُك ، أي : إن دمتَ على ذلك ، وثبتَّ ، فكأنَّه تحضيض للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتوكيد عليه أن يديم تذكيرهم ، وتعليمهم ، والله أعلم وأحكم)) [2] فـ(إن) من الأضداد التي ذكرها المصنَّف وردَّها

٤-**البطانة** : قال أبو بكر : ((ومن حروف الأضداد أيضًا الظِّهارة والبِطانة ، يقال للظِّهارة بطانة ، وللبطانة ظهارة ؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما قد يكون وجهًا ، ويقال : رأيتُ ظهر السماء ، ورأيتُ بطن السماء ، للذي تراه ، وكذلك بطن الكوكب وظهر الكوكب ، قال الله عز وجل : (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ){الرحمن : ٥٤} فقد تكون البطائن بطائن ، وقد

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٣٠/٣ وينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦٩٤/٥

(٢) الأضداد ص١٢١-١٢٢

تكون ظهائر ، وقد كان بعض المفسرين يقول : هذه البطائن فكيف لو وُصِف لكم الظهائر ؟ فيجعل الظهائر غير البطائن ، وقال الفرّاء : حدثني بعض الفصحاء المحدّثين أنَّ ابن الزبير عاب قتلة عثمان ، فقال : خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية ، فقتلهم الله كلَّ قتلة ، ونجا من نجا منهم ، تحت بطون الكواكب ، يريد : هربوا ليلًا ، قال الفرّاء : فقد يكون البطن ظهرًا ، والظهر بطنًا على ما أخبرتك)) [١]

قال ابن فارس : ((فالبطن خلاف الظهر)) [٢] وقال الراغب : ((والبطن خلاف الظهر في كلِّ شيء)) [٣] قال ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى : (بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ){الرحمن : ٥٤} : ((قال الفرَّاء : قد تكون البِطانة ظِهارة ، والظِّهارة بطانة ، وذلك أنَّ كلَّ واحد منهما قد يكون وجهًا ، تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، قال : وقال ابن الزبير ، وذكر قتلة عثمان رضي الله عنه ، فقتلهم الله كلَّ قتلة ، ونجا من نجا منهم تحت بطون السماء والكواكب ، يعني : هربوا ليلًا ، وهذا أيضًا من عَجَب التفسير ، كيف تكون البطانة ظِهارة ، والظِّهارة بِطانة ، والبطانة : ما بَطَنَ من الثوب ، وكان من شأن الناس إخفاؤه ، والظِّهارة ما ظَهَرَ منه ، وكان من شأن الناس إبداؤه ؟! وهل يجوز لأحدٍ أن يقول لوجه مُصلًّى : هذا بطانته ، ولِما وليَ الأرض منه : هذا ظِهارته ؟!وإنَّما أراد الله جلَّ وعزَّ أن يُعرِّفنا من حيث نفهم فضلَ هذه الفرش ، وأنَّ ما ولي منها إستبرق ، وهو الغليظ من الدِّيباج ، وإذا كانت البطانة كذلك ، فالظَّهارة أعلى وأشرف ، وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلّم : لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه الحُلَّة ، فذكر المناديل دون

---

(١) الأضداد ص ٢٠٨ وينظر : الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيِّب ص ٧٠ وينظر : معاني القرآن للفراء ٣/٢٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٧

(٣) المفردات ص ٥٦

غيرها ؛ لأنَّها أخشن من الثياب ، وكذلك البطائن أخشن من الظواهر ، وأمَّا قولهم : ظهرُ السماء وبطنُ السماء ، لِما ولينا ، فإنَّ هذا قد يجوز في ذي الوجهين المتساويين ، إذا ولي كلٌّ واحد منهما قومًا ، تقول في حائط بينك وبين قوم ، لِما وليك منه : هذا ظهر الحائط ، ويقول الآخرون لِما وليهم : هذا ظهر الحائط ، فكلٌّ واحد من الوجهين ظهر وبطن ، كذلك السماء ، ما ولينا منها ظهر ، وهو لمَن فوقها من الملائكة بطن)) [1] وقال الواحدي : ((مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) وهو كلُّ ما غلظ من الديباج ، قال ابن مسعود : أُخبِرتم بالبطائن فكيف بالظَّهائر؟! وقال أبو هريرة : هذه البَطائن فكيف بالظهائر ؟! وقيل لسعيد بن جبير : البطائن مِن إستبرق فما الظواهر ؟ فقال : هذا مما قال الله تعالى : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){السجدة : ١٧} وقال ابن عباس : وصفَ البطائن وتركَ الظواهر ؛ لأنَّه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر)) [2] وقال الزمخشري : ((بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ((من ديباج ثخين ، وإذا كانت البطائن من الإستبرق فما ظنُّك بالظواهر ؟! وقيل : ظهائرها من سندس ، وقيل : من نور)) [3] وقال ابن عطية : ((وروي في الحديث أنَّه قيل لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هذه البطائن (مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) فكيف الظواهر ؟ قال : هي من نور يتلألأ ، والإستبرق ما خشن وحسن من الديباج ، والسندس ما رقّ منه)) [4] وبعد أن نقل القرطبي قول من تقدم من المفسرين ، قال : ((وعن الحسن : بطائنها من إستبرق ، وظواهرها من نور

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٤٤١-٤٤٢ وينظر : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣١٤/٧-٣١٥

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٢٦/٤-٢٢٧

(٣) الكشاف ٤٤١/٤

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٢٣٣/٥ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ١٧٤/٥ ومدارك التنزيل للنسفي ص١١٩٦

جامد ، وعن الحسن أيضًا : البطائن هي الظواهر ، وهو قول الفرَّاء ، وروي عن قتادة...وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا ، وقالوا : لا يكون هذا إلّا في الوجهين المتساويين إذا ولي كلّ واحد منهما قومًا ، كالحائط بينك وبين قوم ، وعلى ذلك أمر السماء)) [١] قال الآلوسي : ((والحق أنَّ البطائن هنا مقابل الظهائر على الوجه المعروف)) [٢] وقال ابن عاشور : ((والبطائن جمع بطانة بكسر الباء ، وهي مشتقة من البطن ضدّ الظهر من كلِّ شيء ، وهو هنا مجاز عن الأسفل ، يقال للجهة السفلى بطن ، وللجهة العليا ظهر...فبطانة الثوب داخله وما لا يبدو منه ، وضدّ البطانة الظِهارة بكسر الظاء ، ومن كلامهم : أفرشني ظهرَ أمره وبطنَه ، أي : علانيته وسرَّه ، شبهتْ العلانية بظهر الفراش ، والسرّ ببطن الفراش...فالبطانة : هي الثوب الذي يُجعل على الفراش ، والظهارة : الثوب الذي يُجعل فوق البطانة ؛ ليظهر لرؤية الداخل للبيت ، فتكون الظهارة أحسن من البطانة في الفراش الواحد...فالمعنى هنا : أنَّ بطائن فرش الجنة من إستبرق ، فلا تسأل عن ظهائرها فإنَّها أجود من ذلك))[٣]

فمصنف الأضداد استند في جعل البطائن والظهائر من الأضداد إلى قول الفرَّاء ، وقد تبيَّن ضعف قوله ، وقد أنكره جمهور المفسرين ، وكيف يصحّ الأخذ بقول الفرّاء ؛ لأنَّ الأخذ به يقلب التفسير الصحيح والمعنى المراد في قوله تعالى : (بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) رأسًا على عقب ، ويلغي الحكمة التي جاءت من ذكر البطائن من دون الظهائر على نحو ما بيَّنه ابن قتيبه وغيره

٥-**بعد** : قال أبو بكر : ((و(بعد) حرف من الأضداد ، يكون بمعنى التأخير، وهو الذي يفهمه الناس ، ولا يحتاج مع شهرته إلى ذكر شواهد له ، ويكون بمعنى قبل ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٠/١٧

(٢) روح المعاني ١١٧/١٤

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٩/٢٧

الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ){الأنبياء : ١٠٥} فمعناه عند بعض الناس : من قبل...وقال الله عزَّ وجلَّ : (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا {٢٧} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا {٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا {٢٩} وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا){النازعات : ٣٠} فمعناه : والأرض قبل ذلك دحاها ؛ لأنَّ الله خلق الأرض قبل السماء})) [١]

جاء في تفسير قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ((عنى بالزبور كتب الأنبياء كلّها التي أنزلها الله عليهم ، وعنى بالذكر أمّ الكتاب التي عنده في السماء)) [٢]وهذا هو قول سعيد بن جبير ، ومجاهد وغيرهما)) [٣] وهذا التفسير هو الذي اختاره الطبري فقال : ((وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك ، من أنَّ معناه : ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كلّ ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض ، وذلك أنَّ الزبور هو الكتاب ، يقال منه : زبرتُ الكتاب : إذا كتبته)) [٤] وقال الزجاج : ((الزبور جميع الكتب : التوراة والإنجيل والفرقان ؛ لأنَّ الزبور والكتاب بمعنى واحد ، والمعنى : ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا في السماء)) [٥] وقال الواحدي : ((وقوله تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) يعني جميع الكتب المنزَّلة من السماء (مِن بَعْدِ الذِّكْرِ) من بعد ذكرنا في السماء))[٦]

---

(١) الأضداد ص٧٥-٧٦ والأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب ص ٧٩

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٢١/١٧

(٣) جامع البيان ١٢١/١٧

(٤) جامع البيان ١٢٢/١٧

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٠/٣

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٥٤/٣

أمَّا (بَعْدَ) في قوله تعالى : (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا {٢٧} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا {٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا {٢٩} وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) فهي على بابها ، كما يبدو هذا من سياق هذه الآيات وظاهرها ، قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في معنى قوله تعالى : (بَعْدَ ذَلِكَ) فقال بعضهم : دُحيت الأرض من بعد خلق السماء...وذلك أنَّ الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثمَّ استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سماوات ، ثمَّ دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا))) [١] وقال الواحدي : (((وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ) بعد خلق السماء (دَحَاهَا) بسطها من الدحو)) [٢] وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ) متوجّه على أنَّ الله تعالى خلق الأرض ولم يدحها ، ثم استوى إلى السماء ، وهي دخان فخلقها وبناها ، ثمَّ دحا الأرض بعد ذلك)) [٣]وقال ابن الجوزي : (((وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ) أي : بعد خلق السماء (دَحَاهَا) أي : بسطها ، وبعضٌ يقول : إنَّ الأرض خُلِقت قبل السماء ، يزعم أنَّ (بعد) ها هنا بمعنى (قبل)... وبعضهم يقول : هي بمعنى (مع)...ولا يمتنع أن تكون الأرض خُلقت قبل السماء ، ثمَّ دُحيت بعد كمال السماء)) [٤] وقال القرطبي : ((قوله تعالى : (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) ضُحَاهَا) أي : أبرز نهارها وضوءها وشمسها ، وأضاف الضحى إلى السماء ، كما أضاف إليها الليل ؛ لأنَّ فيها سبب الظلام والضياء ؛ بغروب الشمس وطلوعها (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) بسطها ، وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء)) [٥] وقال ابن عاشور : ((أي : بعد خلق السماء خلق الأرض

---

(١) جامع البيان ٥٧/٣٠

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٢١/٤

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٣٤/٥

(٤) زاد المسير في علم التفسير ١٩٧/٨

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥٧/١٩

مدحوة...وهذه الآية أظهر في الدلالة على أنَّ الأرض خُلِقت بعد السماوات))[1]

والدليل على خلق الأرض بعد السماء أنَّه سبحانه قدّم في مواضع كثيرة خلق السماء على الأرض كقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّـهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ){الأعراف : ٥٤} وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّـهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ){إبراهيم : ١٩} وقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ){الطلاق : ١٢}

فإذا كان التفسير الأصح والمختار من لدن كبار المفسرين في كلا الشاهدين ، يقضي بجعل (بعد) فيهما على بابها ، فما الداعي بعد ذلك إلى إدراج (بعد) ضمن الأضداد ؟!

٦-**بعض** : ((قال أبو بكر بن الأنباري : ((و(بعض) حرف من الأضداد يكون بمعنى بعض الشيء ، وبمعنى كلّه ، قال بعض أهل اللغة في قول الله تعالى : (وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ){الزخرف : ٦٣} معناه : كلّ الذي تختلفون فيه ، واحتج بقول لبيد

تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضَها   أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها

معناه : أو يعتلقْ كلَّ النفوس حِمامُها ؛ لأنَّه لا يسلم من الحِمام أحد ، والحِمام هو القدر ، وقال ابن قيس :

من دون صفراء في مفاصلها   لِينٌ وفي بعض مشيها خُرُقُ

وقال غيره : بعض ليس من الأضداد ، ولا يقع على الكلّ أبدًا ، وقال في قوله عز وجل : (وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) ما أحضرُ من اختلافكم ؛ لأنَّ الذي أغيب عنه لا أعلمه ، فوقعتْ (بعض) في الآية على الوجه الظاهر فيها ، وقال في قول لبيد : (أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها) أو يعتلقْ نفسي حِمامُها ؛ لأنَّ (نفسي) هي بعض النفوس ، ولم يقصد في هذا البيت قصد غيره

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٧٧

، وقالوا في قول ابن قيس : (وفي بعض مشيها خُرُقُ) إذا استُحسن منها في بعض الأحوال هذا وُجِد في مشيها ، وربما كان غير هذا من المشي أحسن منه فـ(بعض) دخلت للتبعيض والتخصيص ، ولم يقصد بها قصد العموم)) [١]

قال الخليل : ((بعض كلّ شيء : طائفة منه ، وبعَّضته تبعيضًا : إذا فرَّقته أجزاءً))[٢]وقال الفارابي : ((بعض الشيء : نقيض كلِّه)) [٣] وقال الراغب : ((بعض الشيء جزء منه ، ويقال ذلك بمراعاة كلٍّ ؛ ولذلك يقابَل به كلٌّ ، فيقال : بعضه وكلّه ، وجمعه أبعاض قال عز وجل : (وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ){البقرة : ٣٦} وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا){الأنعام : ١٢٩} وقال تعالى : (وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا){العنكبوت : ٢٥}))[٤] و((قال ثعلب : أجمع أهل النحو على أنَّ البعض شيء من شيء أو من أشياء)) [٥] وقال الكفوي : ((البعض : هو طائفة من الشيء ، وقيل جزء منه))[٦]

قال أبو عبيدة في قوله تعالى : (وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) ((بعض : يكون شيئًا من الشيء ، ويكون كلَّ الشيء ، قال لبيد :

تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضَها   أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامها

---

(١) الأضداد في اللغة ص ١١٧-١١٨

(٢) العين ص ٨٠ .

(٣) ديوان الأدب ١/٦٠.

(٤) المفردات ص ٥٩.

(٥) المصباح المنير للفيومي ص ٥٣-٥٤

(٦) الكليات ص ٢٠٣

فلا يكون الحِمام ينزل ببعض النفوس ، فيُذهب البعض ، ولكنَّه يأتي على الجميع)) [١] وقال في قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ){الزخرف : ٦٣} ((البعض ها هنا الكلّ ، قال لبيد :

تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضَها   أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامها

الموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض)) [٢] وقال أبو الطيِّب اللغوي : ((ومن الأضداد قال الأصمعي : بعض الشيء : جزء من أجزائه ، وقد جاء بعض الشيء ، بمعنى كلِّه ، وأنشد :

لولا الحياءُ وبعضُ الشيب عِبتُكما   ببعض ما فيكما إذ عِبتما عَوَري[٣]

قال : يريد : لولا الحياء والشيبُ ؛ لأنَّ الشيب لا يتبعَّض ، ويُروى : لولا الحياء وبعض الدِّين ، والمراد الدِّين كلّه)) [٤]

جعلُ (لولا الحياء وبعض الشيب) بمعنى : (لولا الحياء والشيب) يعنى أنَّه جعل (بعض) في هذا الشاهد زائدة وليس بمعنى كلّ ، و(بعض) هنا كما هي على معناها ؛ لأنَّ المراد في الحقيقة : لولا الحياء وبعض ما يوجبه الشيب ، وما يوجبه الشيب على صاحبه أمور منها : الصبر ، والوقار ، والحياء ، والحلم ، فكانت (بعض) على بابها ، وكذلك الرواية الأخرى : لولا الحياء وبعض الدِّين ، أي : لولا الحياء وبعض ما يأمر به الدِّين الذي من بينه : العفو عن المسيء ، وكيف يصح جعل البعض بمعنى الكلّ في الشاهد

---

(١) مجاز القرآن ص ٤٨

(٢) مجاز القرآن ص ٢٥١

(٣) البيت لتميم بن أبي بن مقبل ، وهو يخاطب ابنتي عصر العقيلي بهذا القول ، إذ هزئتا به وذكرتا شيبه وعَوَرَه ، وكان أعور حين استسقاهما

(٤) الأضداد في كلام العرب ص ٨٧

المذكور ؟ لأنَّه كيف يصح أن يكون التقدير : لولا الحياء وكلُّ الشيب ، ولولا الحياء وكلُّ الدِّين ؟! فاستعمال (كلّ) في البيت لا معنى له ، كما أنَّه إذا صحّ أن يقال : كلُّ الشيب ، وكلُّ الدِّين ، صحَّ أن يقال : بعض الشيب ، وبعض الدين ، فإذا صحّت الكلية صحّت البعضية .

هذا عمَّا قاله الأصمعي ، أمَّا ما قاله أبو عبيدة فقد ردَّ عليه قوله كثيرون ، قال الزجاج : ((قال أبو عبيدة معنى : (وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) قال معناه : كلّ الذي حُرِّم عليكم ، وهذا مستحيل في اللغة والتفسير ، وما عليه العمل ، فأمَّا استحالته في اللغة فإنَّ البعض والجزء لا يُكَوِّن الكلَّ ، وأنشد في ذلك أبو عبيدة بيتًا غلط في معناه ، وهو قول لبيد :

تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضَها أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها

قال : أو يعتلقْ كلَّ النفوس حِمامها ، وهذا كلام تستعمله الناس ، يقول القائل : بعضنا يعرفك ، يريد : أنا أعرفك ، فهذا إنَّما هو تبعيض صحيح ، وإنَّما جاءهم عيسى بتحليل ما كان حرامًا عليهم ، قال الله عز وجل : (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ){النساء : ١٦٠} وهي نحو الشحوم وما يتبعها في التحريم ، فأمَّا أن يكون أحلَّ لهم القتل ، والسرقة ، والزنا ، فمحال))[١] ((لأنَّ ذلك محرَّم عليهم))[٢] ((ويُروى : أو يرتبطْ ، ويُروى : أن يعتقي ، ومعنى يعتقي : يحتبس ، وكذلك يرتبط ، يقال : أعتقيته عن حاجته ، أي : حبسته ، وقوله (بعضَ النفوس حِمامُها) أراد نفسه ؛ لأنَّ نفسه بعض أنفس الناس))[٣] وقال ابن سيده : ((بعض الشيء : طائفة منه...وقيل : بعض

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٤٩-٣٥٠ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٧٥ والبحر المحيط للأندلسي ٢/٧٤٨

(٢) البحر المحيط للأندلسي ٢/٧٤٨

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٦٢ رقم البيت في المعلقة ٥٦

الشيء كلّه قال لبيد : أو يعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها ، وليس هذا عندي على ما ذهب إليه أهل اللغة ، من أنَ البعض في معنى الكلّ ، هذا نقض ، ولا دليل في هذا البيت ؛ لأنَّه إنَّما عنى ببعض النفوس نفسه))[1] وقال التبريزي : ((يقول : أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما يكره ، إلّا أن يدركني الموت فيحبسني...وأراد بالنفوس نفسه)) [2] وقال الراغب : ((قال أبو عبيدة : {وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ}[الزخرف : ٦٣} أي : كلُّ الذي ، كقول الشاعر : أو يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها ، وفي قوله هذا قصور نظر منه ، وذلك أنَّ الأشياء على أربعة أضرب : ضرب في بيانه مفسدة ، فلا يجوز لصاحب الشريعة أن يبينه ، كوقت القيامة ووقت الموت ، وضرب معقول يمكن للناس إدراكه من غير نبي...وضرب يجب عليه بيانه كأصول الشرعيات المختصة بشرع ، وضرب يمكن الوقوف عليه بما بينه صاحب الشرع ، وإذا اختلف الناس في أمر غير الذي يختصُّ بالنبي بيانه ، فهو مخيَّر بين أن يبيِّن ، وبين أن لا يبيِّن ، حسبما يقتضي اجتهادة وحكمته ، فإذن قوله تعالى : {وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ} لم يرد به كلّ ذلك ، وهذا ظاهر لمن ألقى العصبية عن نفسه ، وأمَّا قول الشاعر : أو يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها ، فإنَّه يعني به نفسه ، والمعنى : إلّا أن يتداركني الموتُ ، لكن عرَّض ولم يصرِّح ، حسب ما بُنِيتْ عليه جملة الإنسان في الابتعاد من ذكر موته)) [3] أي : أنَّ النبي كان قد قصد أن يبيِّن لهم شيئًا من الذي يختلفون فيه ، وتعمَّد أن لا يبيِّن لهم ذلك

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٤١٤/١

(٢) شرح القصائد العشر ص ١٩٠

(٣) المفردات ص ٥٩ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٠٨/١-٢٠٩ وبصائر ذوي التمييز ٢٥٨/٢-٢٥٩ والحلبي والفيروزآبادي دائمًا ما ينقلان كلام الراغب ، إلاَّ أنَّ الفيروزآبادي ينقل كلامه من دون أن ينسبه إليه بالاسم بخلاف الحلبي الذي ينسب إليه كلامه في الغالب

كلّه ، وقال ابن عطية في قوله تعالى : (وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) : ((فلفظة البعض على هذا متمكنة ، وقال أبو عبيدة : البعض في هذه الآية بمعنى الكلّ ، وخطّأه الناس في هذه المقالة ، وأنشد أبو عبيدة شاهدًا على قوله بيت لبيد (الكامل) :

تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضَها   أو يخترمْ بعضَ النفوس حِمامُها

وليست في البيت له حجة ؛ لأنَّ لبيدًا أراد نفسه ، فهو تبعيض صحيح)) [(١)]

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ){المائدة : ٤٩} ((يعني : بذنب التولي عن حكم الله ، وإرادة خلافه فوضع (بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) موضع ذلك ، وأراد أنَّ لهم ذنوبًا جمَّة كثيرة العدد ، وأنَّ هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها ، وهذا الإيهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ، ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد : أو يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها ، أراد نفسه)) [(٢)] وكذلك البعض في قوله تعالى : (وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ) ليست بمعنى الكلّ ((والصحيح أنَّ (بعض) على حالها في هذه الآية ، وأنَّ المراد الرجم ، أو الحكم الذي كانوا أرادوه ، ولم يقصدوا أن يفتنوه عن الكلّ))[(٣)] ((فقال : (عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ) لأنَّ الذي سألوه هو أمر جزئي ، سألوه أن يقضي لهم فيه على خصومهم فأبى منه))[(٤)]

---

(١) المحرر الوجيز ١٤١/١

(٢) الكشاف ٦٢٨/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٩/٦ وينظر : زاد المسير ٢٢٢/٢

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦٩٣/٣

وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) المراد بـ(بعض) مدلوله الأصلي ، وقال أبو عبيدة : وإنَّها هنا بمعنى (كلّ) مستدلاًّ بقول لبيد :

تَرَّاكُ أمكنة إذا لم أرضَها   أو يرتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها

وقد ردَّ الناس عليه بأنَّه كان يلزم أن يحلَّ لهم الربا والسرقة والقتل ؛ لأنَّها كانت محرمة عليهم ، فلو كان المعنى : ولأُحِلّ لكم كلّ الذي حرِّم عليكم ، لأحَلَّ لهم ذلك كلَّه ، واستدل بعضهم على أنَّ (بعضًا) بمعنى (كلّ) بقول الآخر (طرفة) :

أبا منذر أفنيتَ فاستبِقْ بعضَنا   حنانيكَ بعضُ الشرِّ أهون من بعض

أي : أهون من كلّ الشر ، واستدل آخرون بقول الآخر :

إنَّ الأمور إذا الأحداث دبَّرها   دون الشيوخ ترى في بعضها خلَلًا

أي : في كلِّها خللًا ، ولا حاجة إلى إخراج اللفظ عن مدلوله مع إمكان صحة معناه ؛ إذ مراد لبيد ببعض النفوس نفسه هو ، والتبعيض في البيتين الآخرين واضح ، فإنَّ الشرَّ بعضه أهون من بعضٍ آخر لا من كلِّه ، وكذلك ليس كلُّ أمر دبَّره الأحداث كان فيه خلل ، بل قد يأتي تدبيره أحسن من تدبير الشيخ))[1] وقال فيمن جعل (بعض) بمعنى (الكلّ) في البيت الأخير وقول الشاعر عمرو بن شُيَيْم :

قد يدرك المتأنِّي بعضَ حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزللُ

: ((ولا أدري كيف فهموا الكلَّ من البيتين الأخيرين)) [2]

يتبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ جماهير أهل اللغة والتفسير أكَّدوا أنَّ (بعض) ليست من الأضداد ، وأنَّها جاءت في كل شواهدها القرآنية على بابها

---

(١) الدر المصون ٣/٢٠٤

(٢) الدر المصون ٩/٤٧٤

٧-**البيـع والشـراء** : قال أبو بكر : ((واشـتريتُ حرف من الأضـداد ، يقـال : اشـتريتُ الشـيءَ علـى معنـى قبضـته وأعطيـتُ ثمنـه ، وهـو المعنـى المعروف عند النـاس ، ويقـال : اشتريته : إذا بعتـه ، قـال الله تعـالى : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى){البقرة : ١٦} قال جماعة من المفسرين : معناه : باعوا الضلالة بالهدى ، وقال بعض أهل اللغة : كلُّ مَن آثر شيئًا على شـيء ، فالعرب تجعل الإيثار له بمنزلة شرائه...ويقال : شريتُ الشيءَ : إذا بعته ، قال الله عز وجل : (وَمِنَ النَّـاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَـهُ ابْتِغَـاء مَرْضَـاتِ اللّـهِ){البقرة : ٢٠٧}))[١]

وقـال : (وبعـتُ مـن الأضـداد ، يقـال : بعـتُ الشـيء ، علـى المعنـى المعروف عند النـاس ، وبعتُ الشـيء إذا ابتعتـه)) [٢] وقـال أبـو الطيِّـب:((ومن الأضداد البيع ، يقال : بعتُ الشيءَ إذا بعته...وبعته أيضًا إذا اشتريته)) [٣]

قال الخليل : ((والعرب تقول : بعتُ الشـيء بمعنـى اشـتريته ، ولا تبـع بمعنـى لا تشـترِ ، والابتيـاع الاشـتراء)) [٤]وقـال ابـن فـارس : ((شـريتُ الشـيءَ واشتريته : إذا أخذته من صاحبه بثمنه ، وربَّما قالوا : شريتُ : إذا بعتُ ، قال الله تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ){يوسف : ٢٠}))[٥]

و((إنَّما سُمِّي المشتري والبائع باسم واحد ؛ لأنَّ كل واحد منهما يأخذ شيئًا ويعطي شيئًا ؛ فلتماثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد)) [٦]

---

(١) الأضداد ص ٥٥ وينظر : الأضداد في كلام العرب ص ٢٥٣

(٢) الأضداد ص ٥٥

(٣) الأضداد في كلام العرب ص ٥٦

(٤) العين ص ٩٧ .

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٧٧ وينظر ص ١٢١

(٦) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٥٦-٥٧ .

فـ((الشراء والبيع يتلازمان فالمشتري دافع الثمن وآخذ المُثْمَن والبائع دافع المُثْمَن وآخذ الثمن ، هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناضٍّ وسلعة ، فأمَّا إذا كانت بَيْعَ سلعة بسلعة صح أن يُتَصَوَّر كلٌّ منهما مشتريًا وبائعًا، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يُستعمل كلُّ واحد منهما في موضع الآخر، وشريتُ بمعنى بعتُ أكثر ، وابتعتُ بمعنى اشتريتُ أكثر))[1]

إذا كان هذا التداخل والتضاد في دلالتي البيع والشراء قد حصل في كلام البشر فإنَّه لم يحصل في كلام الله ، وقول مصنف الأضداد المذكور : ويقال : اشتريته : إذا بعته ، قال الله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّـذِينَ اشْـتَرُوُاْ الضَّـلاَلَةَ بِالْهُـدَى){البقرة : ١٦} قال جماعة من المفسرين : معناه : باعوا الضلالة بالهدى))[2] وهم كبير وواضح ؛ لأنَّ من الواضح جدًّا أنَّ المراد من الاشتراء هنا الاشتراء المعروف ، فلا خلاف ولا جدال في أنَّ المراد : باعوا الهدى ، وليس : باعوا الضلالة ، كما أنِّي لم أجد مفسِّرًا قبله قال ما ادعاه ونسبه إليهم ، فقد قال مقاتل المتوفى ١٥٠هـ في تفسيره : ((ثمَّ نعتهم الله ، فقال سبحانه : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى){البقرة : ١٦} وذلك أنَّ اليهود وجدوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة قبل أن يُبعث فآمنوا به ، وظنوا أنَّه من ولد إسحاق عليه السلام ، فلمَّا بُعث ، محمد صلى الله عليه وسلم ، من العرب من ولد إسماعيل عليه السلام كفروا به حسدًا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، يقول باعوا الهدى الذي كانوا فيه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعَث بالضلالة التي دخلوا فيها بعد ما بُعِث من تكذيبهم بمحمد صلى الله

---

(١) المفردات ص ٢٦٩ ، و((الناضُّ من المال٠٠٠ما كان عينًا ، وإلى هذا يذهب الفقهاء في الناض)) مقاييس اللغة ص ٨٧٣ .

(٢) الأضداد ص ٥٥

عليه وسلم ، فبئس التجارة ، فدلك قوله سبحانه : (فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)))[١]

وهذا هو التداخل الذي يحصل بين البيع والشراء ، فالمعنى واحد والنتيجة واحدة سواء قيل : اشتروا الضلالة بالهدى ، أو قيل : باعوا الهدى بالضلالة ، فالمراد في كلا التعبيرين : أنَّهم أعطوا الهدى وأخذوا مكانه الضلالة ، أو أخذوا الضلالة وأعطوا مكانها الهدى ، ولم يتطرَّق الفرَّاء ، وأبو عبيدة ، والأخفش إلى تفسير هذه الآية ، وقال ابن قتيبة : (((أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) أي : استبدلوا ، فأصل هذا أنَّ من اشترى شيئًا بشيء فقد استبدل منه))[٢] أي : أنّهم استبدلوا الضلالة بالهدى ، كما قال تعالى : (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ){البقرة : ٦١}

وقد ذكر الطبري أنَّ المفسرين أجمعوا على أن قوله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) يعني أنَّهم : ((باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلالتهم حتى استبدلوها منه)) [٣] أي : أجمعوا على أنَّ المعنى : اشتروا الضلالة بالهدى

وقال الزجاج : ((وقوله عز وجلَّ : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) ومعنى الكلام أنَّ كلَّ من ترك شيئًا وتمسَّك بغيره فالعرب تقول للذي تمسَّك به قد اشتراه)) [٤] فهؤلاء قد تمسكوا بالضلالة ؛ ولهذا قال تعالى : (اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ)

فهؤلاء أساطين التفسير قبله قد أجمعوا على أنَّ المراد من الاشتراء في قوله تعالى : (اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ) الاشتراء المعروف ، وهذا ما أجمع عليه أيضًا

---

(١) تفسير مقاتل ١/٣٤-٣٥

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٤٢

(٣) جامع البيان ١/١٥٧

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٨٨

أهل التفسير بعده ، قال الواحدي : ((قوله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّـذِينَ اشْـتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) حقيقة الاشتراء الاستبدال ، والعرب تجعل من آثر شيئًا على شيء مشتريًا له ، وبائعًا للآخر ، وإن لم يكن ثَمَّ شراء ولا بيع ظاهر : قال ابن عباس : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى)) [1]

فقد قال سبحانه : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّـلاَلَةَ بِالْهُدَى) لأنَّهم آثروا الضلالة على الهدى وتمسَّكوا بها ، وجاز أن يقال : أولئك الذين شروا الهدى بالضلالة بمعنى : باعوا ؛ لأنَّ الهدى هو الشيء الذي أوثر عليه وأريد تركه ، وهذا هو الذي وجدته مطّردًا في كتاب الله أنَّه استعمل فعل الاشتراء للأول بمعنى الاشتراء المعروف ، وفعل الشراء بمعنى البيع للثاني ، وقد ورد فعل الشراء في القرآن الكريم في أربعة مواضع جميعها بمعنى باع ، وهي قوله تعالى : (وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ){البقرة : ١٠٢} ((أي : بئس شيء باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر ، ونبذوا كتاب الله)) [2]

وقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ){البقرة : ٢٠٧} والمعنى : يبيع نفسه ، وبيعها يكون ببذلها في طاعة الله ، وقوله تعالى : (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ){النساء : ٧٤} أي : يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ، وقوله تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ){يوسف : ٢٠} والمعنى : باعوه .

وقد ورد فعل الاشتراء في واحد وعشرين موضعًا ، وكان في جميعها بمعنى الاشتراء ، كقوله تعالى الذي تقدم ذكره : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) وقوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالأَخِرَةِ){البقرة : ٨٦} وقوله تعالى : (أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ

---

[1] الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٩٢/١ وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٩٨/١ وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٢/١

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٨٦/١

أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ){البقرة : ١٧٥} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئًا وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){آل عمران : ١٧٧} وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ){النساء : ٤٤} وقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ){لقمان : ٦} ومن ذلك قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ){البقرة : ١٠٢} والمعنى : ولقد علم اليهود أنَّ من اشترى السحر واختاره وترك الحق ما له في الآخرة من نصيب[١] وقوله تعالى : (وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ){آل عمران : ١٨٧} والمعنى : واشتروا بكتاب الله وعهده عرَضًا يسيرًا ، وهو ما كانوا يأخذونه من سفلتهم[٢] وقوله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ){البقرة : ٤١} والمعنى : ((ولا تشتروا ، ولا تستبدلوا بآياتي ، يعني : ما في التوراة من بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، ثمنًا قليلًا ، عرضًا يسيرًا من الدنيا ، وذلك أنَّ رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامّهم فخافوا إن هم بيَّنوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة ، واختاروا الدنيا على الآخرة)) [٣] أي : اشتروا الدنيا بالآخرة ، وهذا هو أيضًا معنى قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ){البقرة : ٧٩} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ

---

(١) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١/١٨٦

(٢) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/٥٣١ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٢٠٢

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/١٢٨

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){البقرة : ١٧٤} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){آل عمران : ٧٧} وقوله تعالى : (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ){آل عمران١٩٩} فقد جاء فعل الاشتراء بمعنى الاشتراء في كل مواضع وروده في القرآن الكريم ، ولم يختلف فيها أهل التفسير إلّا في قوله تعالى : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ){البقرة : ٩٠} فقد ذكروا أن اشتروا هنا بمعنى باعوا ، والصحيح أنَّ (اشْتَرَوْاْ) في هذا الموضع هو أيضًا بمعنى الاشتراء المعروف ، والمعنى : ((أنَّ المكلَّف إذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى يأتي بأعمال يظنُّ أنَّها تخلِّصه من العقاب ، فكأنَّه قد اشترى نفسه بتلك الأعمال ، فهؤلاء اليهود لمَّا اعتقدوا فيما أتوا به أنَّه يخلِّصهم من العقاب ، ويوصلهم إلى الثواب فقد ظنوا أنَّهم اشتروا أنفسهم به ، فذمَّهم الله تعالى ، وقال : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ))) [١]

أمَّا البيع فلم يستعمل في القرآن الكريم بمعنى البيع وحده ، ولا بمعنى الاشتراء وحده ((وقوله صلى الله عليه وسلم : البيِّعان بالخيار [٢] يريد البائع والمشتري ، يقال لكلٍّ منهما بيِّع وبائع)) [٣] وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ){التوبة : ١١١} والمعنى ((فافرحوا أيها المؤمنون ، وهو أنَّكم إذا بذلتم أنفسكم وأموالكم في الجهاد أخذتم

([١]) اللباب في علوم الكتاب ٢/٢٨٠

([٢]) أخرجه البخاري ومسلم في باب البيوع

([٣]) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي ١/٢٤٩

من الله الجنة)) [١] وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾{الجمعة : ٩} قال الطبري : ((وقوله تعالى : ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ يقول : دعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند يوم الجمعة...عن الضحاك قال : إذا زالت الشمس حُرِّم البيع والشراء))[٢] و((قال الحسن : إذا أذَّن المؤذن يوم الجمعة لم يحلَّ الشراء والبيع)) [٣] ((أي : دعوا التجارة في ذلك الوقت))[٤]

فلا تضادَّ بين دلالتي البيع والشراء في القرآن الكريم ؛ لأنَّه استعمل اشترى ويشتري بمعنى الاشتراء ، ولم يستعمل باع ويبيع ، بمعنى البيع ، بل استعمل لهذا المعنى بدلًا منهما شرى ويشري ، أمَّا لفظ البيع فقد استعمل منه المصدر وفعل المبايعة ، وأراد منهما البائع والمشتري ، أو الصفقة والمنافع المتبادلة التي تعقد بينهما .

٨-**البَين** : قال أبو بكر : ((والبين من الأضداد ، يكون البين الفراق ، ويكون البين الوصال...وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾{الأنعام : ٩٤} فمعناه : وصلكم وقال الشاعر حجة لهذا المذهب :

لقد فرَّق الواشين بيني وبينُها   فقرَّتْ بذاك الوصل عيني وعينُها

أراد فرَّق الواشين وصْلي ووصلُها ، وقال الآخر :

لعمرك لولا البينُ لانقطع الهوى   ولولا الهوى ما حنَّ للبين آلفُ))

[٥]

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٥٢٦/٢

(٢) جامع البيان ١١٤/٢٨

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٣٠٠/٤

(٤) زاد المسير ٥٤/٨

(٥) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٥٧ رقم المادة ٣٨ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ص ٧٥-٧٨ ولسان العرب ١٩٥/٢

((قال الفرَّاء : وكان مجاهد يقرأ : (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ){الأنعام : ٩٤} بالرفع ، أي : وصلكم ، وهي قراءة حمزة ، وقد قُرِئتْ بالفتح أيضًا))[١]

أمَّا فيما يتعلق بمعنى البين فقد قال الخليل : ((البينُ : الفرقة ، والاسم البين أيضًا ، والبين : الوصل))[٢]وقال ابن فارس : ((الباء والياء والنون أصل واحد وهو بُعْد الشيء وانكشافه ، فالبين الفراق))[٣] و((يكون البين اسمًا وظرفًا متمكنًا))[٤]

والحقيقة أنَّ البين ليس من الأضداد ، وأنَّه لا يعني الوصل ، ولا الفراق ، ولا القرب ، ولا البعد ، وإنَّما هو الفراغ الذي يكون بين الشيئين ، تقول مثلًا جلستُ بين الدارين ، ولا تقول : جلستُ بين الدار ، وهذا هو معنى البين الذي يكون بين الناس أو بين شخصين ، وإنَّ الذي أوهم أهل اللغة أنَّه يعني الوصل ، والفراق ، أنَّ هذا البين الذي يكون بين شخصين ، إمَّا أن يُترَك على حاله ، فيمثل العلاقة الاعتيادية بين الناس ، وإمَّا أن يُملَأ بالكراهية فيكون في حالة سيئة تؤدي إلى الانقطاع وما يجرُّ إليه ، وإمَّا أن يُملَأ بالمودة فيكون في حالة حسنة ، تؤدي إلى الصلة وما يجرُّ إليها ، فالبين مثلًا في قول الشاعر المذكور :

لقد فرَّق الواشين بيني وبينُها فقرَّتْ بذاك الوصل عيني وعينُها

جُعِلَ بمعنى الوصل ؛ لأنَّه أريد منه حالته الحسنة ، ويكون بمعنى الفرقة والانقطاع ، لو أريد منه العكس من ذلك وقيل مثلًا

---

(١) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ص ٧٨ وينظر : معاني القرآن للفراء ٢٣٥/١

(٢) العين للخليل ص ٩٧

(٣) مقاييس اللغة ص ١٢١

(٤) لسان العرب ١٩٦/٢

لقد أشمتَ الواشين بيني وبينُها   فهامتْ بذاك البعد عيني وعينُها

وقول الشاعر : لولا البينُ لانقطع الهوى ، يعني : لولا البين الذي يربط بيننا ؛ لأنَّ كلّ إنسان يرتبط بغيره بهذا البين الذي بينهما ، فهو من جهة يفصل بينهما ، ومن جهة أخرى يوصل بينهما ، ولأنَّ البين فراغ يكون بالمعنى الذي يُملأ به ، وأنَّه معنى مجرد لا علاقة له بالفرقة ، والوصل ، جاز أن يقال : أصلح القومُ ذات بينهم ، بعد أن أفسدوها ، ويكون المقصود بالبين الصِّلات والروابط التي بينهم ، فهذا هو معنى البين في قوله تعالى : (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ)

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ) ((فإن قلتَ : ما حقيقة (ذَاتَ بِيْنِكُمْ) قلتُ : أحوال بينكم ، يعني ما بينكم من الأحوال ، حتى تكون أحوال إلفة ومحبَّة واتفاق...لمَّا كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها : ذات البين))(١)

٩-**خفي وأخفى** : قال أبو بكر : ((وأخفيتُ من الأضداد ، يقال : أخفيتُ الشيءَ : إذا سترتَه ، وأخفيتُه : إذا أظهرتَه ، قال الله عز وجل : (إنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا){طه : ١٥} فمعناه : أكاد أسترها...ويقال : معنى الآية : إنَّ الساعة آتية أكاد أُظهرها ، ويقال : خفيتُ الشيءَ : إذا أظهرتَه...والمشهور : في (كدتُ) مقاربة الفعل ، كدتُ أفعل كذا وكذا ، قاربتُ الفعل ولمَّا أفعله...قال قيس بن الخطيم

ديار التي كادت ونحن على منىً   تحلّ بنا لولا نجاء الركائب

معناه : قاربت الحلول ولم تحلّ ، وقال ذو الرمَّة :

وأسقيه حتى كاد مِمَّ أبثُّه   تكلمني أحجاره وملاعبهْ

---

(١) الكشاف ١٨٩/٢

معناه : قارب الكلام ولم يكن كلام ، وقال الآخر : وقد كدتُ أموت ، معناه : قاربتُ الموت ولم أمت ، ويقال : خفا البرق يخفو : إذا ظهر ، وهو من قولهم : خفيتُ الشيء : إذا أظهرته))[(١)]

وقال الراغب : ((خفيَ الشيءُ خُفْية : استتر ، قال تعالى : (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ){الأعراف : ٥٥} والخَفاء : ما يُستَتَر به كالغطاء ، وخفيتُه : أزَلْتُ خَفاه ، وذلك إذا أظهرتَه ، وأخفيتَه : أوليتَه خَفاء ، وذلك إذا سترتَه ، ويقابَل به الإبداء والإعلان ، قال تعالى : (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ){البقرة : ٢٧١}))[(٢)]

فأنت ترى فيما تقدم ذكره اختلاف أهل اللغة والتفسير ، في دلالة خفي وأخفى ، في اللغة ، وفي قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) بين الاستتار والظهور ، والذي أراه أنَّ خفي وأخفى هما في الحقيقة ليسا من حروف الأضداد ، وأنَّهما باقيان على معناهما ، والذي أدَّى إلى القول بأنَّهما من الأضداد عاملان .

الأول : أنَّ أهل اللغة فرَّقوا في الجذر والمعنى بين : خفا ، وخفي ، ومرَّ قول المصنف : ((ويقال : خفا البرق يخفو : إذا ظهر ، وهو من قولهم : خفيتُ الشيء : إذا أظهرته))[(٣)] وقال ابن فارس : ((الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادَّان ، فالأول : الستر ، والثاني : الإظهار ، فالأول : خفيَ الشيءُ يخفى ، وأخفيته ، وهو في خِفْية وخَفاء : إذا سترته...والأصل الآخر : خفا البرقُ خَفْوًا : إذا لمع ، ويكون ذلك في أدنى ضعف ، ويقال : خفيتُ

---

(١) الأضداد ص ٦٨-٧٠ والأضداد في كلام العرب ،لأبي الطيِّب اللغوي ص١٦٥-١٧٠

(٢) المفردات ص ١٥٩

(٣) الأضداد ص ٧٠

الشيءَ (بغير ألف) : إذا أظهرتَه ، وخفا المطرُ الفأرَ من جِحَرَتهنَّ : أخرجهنَّ ، قال امرؤ القيس :

خفاهنَّ من أنفاقهنَّ كأنَّما خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ

ويقرأ على هذا التأويل : (إنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا){طه : ١٥} أي : أُظهِرها))[١] فقد جعل ابن فارس خفا الذي هو بمعنى لمع وظهر شاهده قول امرؤ القيس :

خفاهنَّ من أنفاقهنَّ كأنَّما خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ

وقوله تعالى : (أَكَادُ أَخْفِيهَا) وأهل اللغة خلطوا بين جذر خفا يخفو الذي هو بمعنى لمع وظهر ، وجذر خفي يخفى الذي هو بمعنى استتر ، ولهذا اختلط في مصنفاتهم هذان الجذران ودلالتاهما المتضادتان ، قال الأزهري : ((وجاء خفيتُ بمعنيين متضادين ، وكذلك أخفيتُ ، فيما زعم أبو عبيدة ، وكلام العرب الجيِّد أن يقال : خفيتُ الشيءَ أَخفيه ، أي : أظهرته ، وقال امرؤ القيس ::

خفاهنَّ من أنفاقهنَّ كأنَّما خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ

وأخفيتُ الشيءَ سترته)) [٢]وقد تقدم أنَّ ابن فارس جعل بيت امرئ القيس المذكور من شواهد خفا يخفو الذي بمعنى لمع وظهر ، وكذلك خلط بينهما ابن سيده على الرغم من أنَّه فصل بين جذريها ، فقد قال في باب الخاء والفاء والواو ((خفا البرق خَفْوًا : لمع ، وخفا الشيءُ : ظهر)) [٣] وقال في باب الخاء والفاء والياء : ((خفي الشيءَ : أظهره ، واستخرجه ، قال :

خفاهنَّ من أنفاقهنَّ كأنَّما خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ...وقال ابن جني : يكون (أُخفيها) أُزيل خفاءها ، كما تقول : أشكيته ، إذا زُلْتَ له عمَّا

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٦٤ وينظر : لسان العرب ١١٦/٥

(٢) تهذيب اللغة ١٠٧٠/١

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٣٠٥/٥ وينظر : تاج العروس للزبيدي ٢٨١/٣٧

يشكوه)) [١] وكان ينبغي لابن سيده أن يجعل بيت امرئ القيس شاهده في باب الجذر الأول ، لا في باب الجذر الثاني

فليس من المستبعد أنَّ يكون قد وقع خلط ، أو تصحيف بين جذر خفا الذي بمعنى ظهر ، وجذر خفي الذي بمعنى استتر ، فاكتسب الثاني دلالة الأول ، وقد تقدم في المقدمة أنَّ من العوامل التي أدَّت إلى نشأة الأضداد التطور اللغوي والتصحيف .

الأمر الثاني : اللبس في تفسير (كاد) بين حصول معنى الفعل الذي تدخل عليه وعدم حصوله ، وهذا ما نبَّه عليه المصنف نفسه ، كقوله فيما تقدم

((ديار التي كادت ونحن على منىً   تحلّ بنا لولا نجاء الركائب

معناه : قاربت الحلول ولم تحلّ ، وقال ذو الرمَّة :

وأسقيه حتى كاد مِمَّ أبثُّه   تكلمني أحجاره وملاعبهْ

معناه : قارب الكلام ولم يكن كلام ، وقال الآخر : وقد كدتُ أموت ، معناه : قاربتُ الموت ، معناه : قاربتُ الموت ولم أمت)) وقد ظهر لي أنَّ أهل المعاني والتفسير لم يفسروا قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) على هذا النحو ، قال الفرّاء في تفسير قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) ((وفي قراءة أبَي : إنَّ الساعة آتية أكاد أُخفيها من نفسي ، فكيف أظهركم عليها))[٢] وقال الطبري : ((يقول تعالى : إنَّ الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية (أَكَادُ أُخْفِيهَا) فعلى ضم الألف من (أُخْفِيهَا) جميع قرَّاء أمصار الإسلام بمعنى : أكاد أُخفيها من نفسي ؛ لئلّا يطّلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٥/٢٦٤-٢٦٥

(٢) معاني القرآن ٢/٩٤ وينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٧ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٤ ، ٣٢

العلم))[1] وقال الواحدي : (((وهذا قول مجاهد قال : إذا صلى العبد ذكر اللهَ ثمَّ أخبره بمجيء الساعة فقال (إِنَّ السَّاعَةَ) يعني القيامة (ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) قال : أكثر المفسرين : أُخفيها من نفسي ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، قال قطرب والمبرد : هذا على عادة مخاطبة العرب ، يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء : كتمته حتى من نفسي ، أي : لم أُطلع عليه أحدًا ، ومعنى الآية : أنَّ الله بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب ، قال قتادة : هي في بعض القراءة أكاد أخفيها من نفسي ، ولعمري لقد أخفاها من الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، قال ابن الأنباري : والمعنى في إخفائها : التهويل والتخويف ؛ لأنَّ الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة ، كانوا على حذر منها كل وقت))[2]

وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){السجدة : ١٧} الإخفاء : الستر والتغطية ، يقال : خفيَ الشيءُ وأخفيته : استتر وسترته ، والخفاء : ما يستتر به كالغطاء ، فيقال : أخفيته : إذا أوليته خفاء ، أي : سترته ، ومنه (أَكَادُ أُخْفِيهَا){طه : ١٥} أي : أسترها ، فلا يطلع عليها أحد ، وفي التفسير : أكاد أُخفيها من نفسي ، مبالغة ، وخفيته : أزلت خفاه : إذا أظهرته ، وعليه قرأ الحسن (أَخفيها) بفتح الهمزة))[3]

---

(١) جامع البيان ١٧٣/١٦ وينظر : الكشاف ٥٤/٣ والمحرر الوجيز ٤٠/٤ وزاد المسير ٢٠٤/٥-٢٠٥ وأنوار التنزيل ٢٤/٤ وتفسير ابن كثير ٢٠٥/٥ وفتح القدير ٤٤٥/٣-٤٤٥ وروح المعاني ٤٨٦/٨-٤٨٧

(٢) الوسيط ٢٠٣/٣

(٣) عمدة الحفاظ ٥١٧/١-٥١٨

وقال : (((أَكَادُ أُخْفِيهَا) العامّة على ضمِّ الهمزة ، وفيها تأويلات ، أحدها : أنَّ الهمزة في (أُخْفِيهَا) للسلب ، والإزالة ، أي : أزيل خفاءها ، نحو : أعجمتُ الكتاب ، أي : أزلت عجمته ، ثم في ذلك معنيان ، أحدهما : أنَّ الخفاء بمعنى الستر ، ومتى أزال سترها ، فقد أظهرها ، والمعنى : أنَّها لتحقق وقوعها وقربها أكاد أظهرها ، لولا ما تقتضيه الحكمة من التأخير ، والثاني : أنَّ الخفاء هو الظهور ، والمعنى : أزيل ظهورها ، وإذا أزال ظهورها فقد استترت ، والمعنى : أنَّ لشدة إبهامها أكاد أخفيها فلا أظهرها البتة ، وإن كان لا بدَّ من إظهارها))[1] فقد أجاز أهل التفسير جعل (أُخْفِيهَا) بمعنى أسترها ، أو أظهرها[2] فهذا ما قالوه في معنى الفعل ، أمَّا معنى التركيب (أَكَادُ أُخْفِيهَا) فقد صُرِّح به في التفسير بأنَّه بتقدير : ((أقرب أن أخفيها)) [3] أو((أقرب أن أخفي الساعة ، ولا أظهرها))[4] وهذا يعني عدم إخفائها ؛ لأنَّ ((المشهور في الاستعمال أنَّ (كاد) تدلُّ على مقاربة وقوع الفعل المخبر به عنها ، فالفعل بعدها في حيِّز الانتفاء ، فقوله تعالى : (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا){الجنّ : ١٩} يدلُّ على أنَّ كونهم لِبَدًا غير واقع ، ولكنَّه اقترب من الوقوع)) [5]

فقد جعل الفراء ومن تبعه (أُخْفِيهَا) بمعنى استرها ، لكنهم فسروا التركيب (أَكَادُ أُخْفِيهَا) بجعله بمعنى أنَّه سبحانه أخفاها وسترها ، وكان يقتضي أن يفسروه على العكس من ذلك ، ذلك أنَّه إذا جعلنا أخفى بمعنى أظهر ،

---

(١) الدر المصون ١٩/٨

(٢) ينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٤/٤ ومدارك التنزيل للنسفي ص٦٨٨والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٨٨/٦ وفتح القدير للشوكاني ٤٤٤/٣

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٤/٤

(٤) روح المعاني للآلوسي ٤٨٦/٨

(٥) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ١٠٧/١٦تفسير قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا)

بتقدير : أكاد أظهرها ، يكون المعنى : أقرب أن أظهرها ولم أظهرها ، وإذا أبقينا أخفى على بابه ، يعني الاستتار ، يكون المعنى : أقرب أن أخفيها ولم أخفها ، وهذا هو المعنى المراد من الفعل والتركيب ، فقد ((قال اللغويون : كدتُ أفعل ، معناه عند العرب : قاربتُ الفعل ، ولم أفعل))[1] وهذا ما يعنيه قوله تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) ، قال ابن يعيش : ((من أفعال المقاربة كاد ، تقول : كاد زيد يفعل ، أي : قارب الفعل ، ولم يفعل))[2] أي : هذا التركيب يفيد عدم وقوع الفعل ، وكذلك قول الله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) يفيد عدم وقوع الإخفاء ، وقال ابن الحاجب : ((فإنَّ قوله : كاد زيد يخرج ، معناه إثبات مقاربة الخروج ، وأخذ النفي للخروج ليس من موضوعه ، وهو أنَّ الشيء إذا كان محكومًا عليه بقرب الوجود عُلِمَ أنَّه غير موجود))[3] يعني : أنَّ إذا كان محكومًا عليه بقرب وقوعه وحصوله في قولك : كاد زيد يخرج ، عُلِمَ أنَّ هذا الخروج غير واقع وغير حاصل ، وكذلك الإخفاء إذا كان محكومًا عليه بقرب وقوعه وحصوله في قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) عُلِمَ أنَّ هذا الإخفاء غير واقع وغير حاصل .

وكلام المفسرين الذي تقدم ذكره : ((ولعمري لقد أخفاها من الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، قال ابن الأنباري : والمعنى في إخفائها : التهويل والتخويف ؛ لأنَّ الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة ، كانوا على حذر منها كل وقت))[4]هو ملائم لأنَّ يكون تفسيرًا لقوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٨-١٣٩

(٢) شرح المفصل ٤/٣٧٦

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ص ٤٧٣

(٤) الوسيط ٣/٢٠٣

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ){الأعراف : ١٨٧} وقوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا {٤٢} فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا {٤٣} إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا {٤٤} إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا {٤٥} كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا){النازعات : ٤٢-٤٦} لأنَّ في هذه الآيات بيَّن الله سبحانه أنَّه قد أخفى الساعة ، وحجب عن الناس العلم بموعدها ، أمَّا قوله تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) فلم يكن في هذا السياق ، وإنَّما هو في سياق بيان اقتراب الساعة من الناس ، والشيء إذا اشتد اقترابه من الناس أوشكوا أن يحسوا به ، فيكون قوله تعالى (أَكَادُ أُخْفِيهَا) معناه : أنَّ الساعة قد اقتربت ، وأكاد أخفيها لشدة اقترابها .

فجعلُ أخفى بمعنى أظهر هو خلاف ما دلَّ عليه قوله تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) كما أنَّ القول بهذا الوجه من دون شرحه بذكر ما تقدم يجعله غامضًا مبهمًا لا يفهم منه الباحث ولا القارئ شيئًا

يتبَّيَّن مما تقدَّم تفصيله أنَّ فعل الخفاء أو الإخفاء في قوله تعالى : (أَكَادُ أُخْفِيهَا) هو على بابه بمعنى الاستتار .

١٠-**المستخفي والسارب** : قال أبو بكر : ((والمستخفي من الأضداد ، يكون الظاهر ، ويكون المتواري ، فإذا كان المتواري فهو من قولهم : قد استخفى الرجل : إذا توارى ، وإذا كان الظاهر فهو من قولهم : خفيتُ الشيءَ : إذا أظهرته...والسارب أيضًا من الأضداد ، يكون السارب : المتواري ، من قولهم : قد انسرب الرجل : إذا غاب عنك وتوارى ، فكأنَّه دخل سَرَبًا ، والسارب : الظاهر ، قال الله تعالى : (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ){الرعد : ١٠} ففي المستخفي قولان : هو المتواري في بيته ، ويقال : هو الظاهر ، وفي تفسير السارب قولان أيضًا ، يقال : هو المتواري ، ويقال : هو الظاهر

البارز...ومن قال : السارب الظاهر ، قال : سرب الرجلُ بسرُب سَرْبًا : إذا ظهر))[١]

و((قال قطرب : ومن الأضداد الاستخفاء ، قال الله عز وجل : (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ){الرعد : ١٠} خبَّره من يثق به أنَّ معناه : ظاهر بالليل ، من قولك : خفيته ، أي : أظهرته ، قال : وأمَّا ابن عباس فقال : (ومُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) كاتم لعمله في بيته ، وقال الأصمعي : لا يقال : اختفيتُ من السلطان ، بمعنى: استترتُ ، كما تقول العامَّة ، إنَّما يقال : استخفيتُ منه ، وغيره يقول : استخفيت ، واختفيتُ بمعنى واحد ، يراد به استترتُ))[٢]

قال ابن فارس ((السين والراء والباء أصل مطرد ، وهو يدلُّ على الاتساع والذهاب في الأرض)) [٣] وقال الراغب : ((السَّرَب : الذهاب في حدور...والسارب : الذاهب في سَرَبه أيَّ طريق كان ، قال تعالى : (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ){الرعد : ١٠}))[٤]

قال الأخفش : ((فقوله : (مُسْتَخْفٍ) يقول : ظاهر ، والسارب : المتواري))[٥] وكيف يصحُّ هذا التفسير؟!لأنَّ اقتران المستخفي بالليل دليل على أنَّ المراد منه المستتر ، واقتران السارب بالنهار ؛ دليل على أنَّه أراد معنى الظاهر ؛ وهذا ما قال به جمهور المفسرين ، قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) يقول : مَن هو مستخفٍ بالمعصية

---

(١) الأضداد ص ٥٧-٥٨ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب اللغوي ص٢٤٦

(٢) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيّب اللغوي ص ١٧٠-١٧١

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٣٧

(٤) المفردات ص ٢٣٦

(٥) معاني القرآن ص ٢٢٩

في ظلمة الليل ، ومنتشر بتلك المعصية بالنهار ، معلن بها ، فعلمُ ذلك كلّه عند الله تعالى سواء)) [١] ومثل هذا قال الفراء[٢] والطبري[٣] والواحدي[٤] والزمخشري[٥] والحلبي[٦] وقال ابن قتيبة : (((وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) متصرِّف في حوائجه))[٧] ولا يكون ذلك إلّا علنًا ، وقال الزجاج : ((فقال عز وجل : (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) أي : هو مستتر بالليل ، والليل أستر من النهار ، ومن هو (سَارِبٌ بِالنَّهَارِ) أي : من هو ظاهر بالنهار في سَرَبه ، يقال : خلِّ له سَرَبَه ، أي : طريقه ، فالمعنى : الظاهر في الطرقات ، والمستخفي في الظلمات...وذكر قطرب وجهًا آخر ، ذكر أنَّه يجوز أن يكون (مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) ظاهر بالليل...(وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) أي : مستتر...والأول بيِّن ، هو أبلغ في وصف الغيب))[٨] وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) معناه : من هو بالليل في غاية الاختفاء ، ومن هو متصرِّف في النهار ذاهب لوجهه ، سواء في علم الله تعالى وإحاطته بهما...وقال قطرب فيما حكى الزجاج (مُسْتَخْفٍ) معناه : الظاهر...قال و(سَارِبٌ) متوار في سرب ، قال القاضي أبو محمد ، وهذا القول ، وإن كان

---

(١) تفسير مقاتل ١٧٠/٢

(٢) معاني القرآن ٣٦٩/١

(٣) جامع البيان ١٣٦/١٣

(٤) الوسيط ٧/٣

(٥) الكشاف ٤٩٦/٢

(٦) عمدة الحفاظ ١٨٥/٢

(٧) تفسير غريب القرآن ص ٢٢٤

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١١٥/٣

تعلقه باللغة بيّنًا ، فضعيف ؛ لأنَّ اقتران الليل بالمستخفي ، والنهار بالسارب ، يردُّ هذا القول))[1] ويردُّه أيضًا السياق ، قال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ {٩} سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فقد بدأ سياق الآيتين بالعلم بالغيب والشهادة ، والشهادة ما يشاهد ، ثم بمن أسرَّ وجهر ، ثم بالمستخفي والسارب ، فجعل المستخفي بمعنى المستتر ، والسارب بمعنى الظاهر ، على مذهب الجمهور ، يكون موافقا لسياق ما قبله وجاريًا على نسقه ، ولا يكون كذلك على مذهب الأخفش وقطرب .

١١-**الخوف** : قال أبو بكر : ((وخفتُ حرف من الأضداد ، يكون بمعنى الشك ، ويكون لا يحتاج إلى شك ، وأمَّا كونه على اليقين ، فشاهده قول الله عز وجل : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا){النساء : ١٢٨} قال أبو عبيدة وقطرب : معناه : علمتْ ، وقال في قوله تعالى : (إِلاّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ){البقرة : ٢٢٩} معناه : إلّا أن يعلما))[2]

بنى أبو بكر كون الخوف من الأضداد ، مجيئه في شواهد بمعنى العلم نحو الشاهدين المذكورين ، والخوف في هاتين الآيتين ونحوهما لا يعني العلم ، وإنَّما هو أحد مسبِّباته ؛ لأنَّ من علم مثلًا حدود الله وعواقب من يتعداها خاف الوقوع فيها ، فالمراد من الخوف فيهما الخوف بعينه ، فالفرق بيِّنٌ بينَ الخوف والعلم ولا يصح أن يكون أحدهما بمعنى الآخر ، وهذا ما صرَّح به العسكري بقوله : ((الخوف : خلاف الأمن ، والأمن : سكون النفس ، والخوف : انزعاجها وقلقها ، وهو معنى غير العلم ؛ لأنَّ العلم يبقى بعد ذهاب

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٣٠٠

(٢) الأضداد ص ٩٢

الخوف))[1] وقد أدخل ابن فارس الخشية بمعنى العلم في باب المجاز فقال : ((والمجاز قولهم : خشيتُ بمعنى : علمتُ)) [2]

فالخوف أينما ورد في كتاب الله يعنى الخوف بعينه ، إلّا أنَّ هذا الخوف يحصل عندما يعلم صاحبه علم اليقين بوقوع ما يخافه ، فالعلاقة بين الخوف والعلم هي علاقة الشيء بما يلازمه ، أو علاقة المسبَّب بسببه ، فالخوف لا يعني العلم ، بل هو المسبَّب عنه

١٢-**الرجاء** : قال أبو بكر بن الأنباري : ((وقال بعض أهل اللغة : رجوت : حرف من الأضداد ، يكون بمعنى الشك والطمع ، ويكون بمعنى اليقين ، فأمَّا معنى الشك والطمع فكثير ، لا يحاط به...وأمَّا معنى العلم فقوله تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا){الكهف : ١١٠} معناه : فمن كان يعلم لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ، وقولهم عندي غير صحيح ؛ لأنَّ الرجاء لا يخرج أبدًا من معنى الشك...والآية التي احتجوا بها لا حجة لهم فيها ؛ لأنَّ معناها : فمن كان يرجو لقاء ثواب ربه ، أي : يطمع في ذلك ولا يتيقنه ، وقال سهل السجستاني : معنى قوله تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ) فمن كان يخاف لقاء ربه ، وهذا عندنا غلط ؛ لأنَّ العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف إلّا مع حروف الجحد)) [3]

جعل بعض أهل اللغة الرجاء من الأضداد ، ووجهاه المتضادان : الشكّ ، واليقين ، وقد أنكر ابن الأنباري أن يكون الرجاء من الأضداد ، وأكَّد أنَّه لا يخرج أبدًا من معنى الشكّ .

---

(1) الوجوه والنظائر ص ١٤٦.

(2) مقاييس اللغة ص ٢٥٧

(3) الأضداد ص ٢١-٢٢

وقال أبو الطيِّب اللغوي : ((ومن الأضداد قال أبو حاتم يكون طمعًا ، ويكون خوفًا ، يقال : رجوتُ كذا وكذا ، أرجو رجاء ، أي : طمعتُ فيه ، ورجوته أرجوه رجاء ، أي : خفته ، وفي القرآن الكريم : (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ){الإسراء : ٥٧} فهذا في معنى الطمع...قال : والرجاء بمعنى الخوف كثير ، قال الله تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا){الكهف : ١١٠} أي : يخاف...وقال : (وَارْجُوا الْيَوْمَ الأخِرَ){العنكبوت : ٣٦} أي : احذروه...وقال الخليل : الرجاء : المبالاة [١] ولا تكاد تجيء بمعنى الخوف إلّا مع حرف نفي ، كما لا تجيء المبالاة إلّا مع حرف نفي ، لا يقال : فلان يبالي السلطان ، أي : يخافه ، ولكن يقال : ما يبالي أحدًا ، أي : ما يخافه ، وكذلك يقال : فلان ما يرجو النار ، أي : ما يباليها ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا){يونس : ٧}...قال أبو الطيِّب : وقد وجدنا الرجاء يكون بمعنى الخوف بغير حرف نفي في قوله تعالى : (وَارْجُوا الْيَوْمَ الأخِرَ){العنكبوت : ٣٦} أي : اخشوه واحذروه ، ووجدناه بمعنى المبالاة ، كما زعم الخليل))[٢]

جعل أبو الطيِّب اللغوي الرجاء من الأضداد ، ووجهاه المتضادان : الطمع ، والخوف ، إلّا أنَّه أجاز جعل الرجاء بمعنى المبالاة ، وهذا يعني أنَّه أجاز إخراجه من الأضداد ؛ وهذا ما جاء في كتب اللغة فإنَّ أصحابها لم يجعلوا الرجاء بهذين المعنيين المتضادين ، قال الخليل : ((الرجاء ممدود نقيض اليأس ، رجا يرجو رجاء...والرجْوُ : المبالاة ، يقال : ما أرجو ، أي : ما أبالي ، من قول الله عز وجل : (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا){نوح : ١٣} أي : لا تخافون ولا تبالون ، وقال أبو ذؤيب (الهذلي) :

---

(١) ينظر : العين ص ٣٤١

(٢) الأضداد في كلام العرب ص ١٩٦-١٩٩

إذا لسعته النحلُ لم يَرْجُ لسْعَها وخالفها في بيت نُوبٍ عواسل

أي : لم يكترث)) [١] وقال ابن فارس : ((الراء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان ، يدلُّ أحدهما على الأمل ، والآخر على ناحية الشيء ، فالأول : الرجاء ، وهو الأمل ، يقال : رجوتُ الأمرَ رجاء ، ثم يتسع في ذلك ، فربَّما عُبِّر عن الخوف بالرجاء ، قال الله تعالى : (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا){نوح : ١٣} أي : لا تخافون له عظمةً ، وناس يقولون : ما أرجو ، أي : ما أبالي ، وفسَّروا الآية على هذا ، وذكروا قول القائل :

إذا لسعته النحلُ لم يَرْجُ لسْعَها وخالفها في بيت نُوبٍ عوامل

قالوا معناه : لم يكترث)) [٢] وقال الراغب : ((والرجاء ظنٌّ يقتضي حصولَ ما فيه مسرَّة ، وقوله تعالى : (مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قيل : ما لكم لا تخافون وأنشد :

إذا لسعتْه النحلُ لم يَرْجُ لَسْعَها وخالفها في بيت نُوبٍ عوامل

ووجه ذلك أنَّ الرجاء والخوف يتلازمان)) [٣] ((وشرح ابن عرفة هذا شرحًا حسنًا ، فقال : كلُّ راجٍ مؤمِّلٍ ما يرجوه ، خائفٍ فواته)) [٤] وجاء في تاج العروس : ((والرجاء بالمد : ضد اليأس ، قال الراغب : هو ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مسرة ، وقال الحواليّ : هو ترقب الانتفاع بما تقدَّم له سبب ما ، وقال غيره : هو لغة الأمل ، وعُرفًا تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلًا ، كذا عبَّر ابن

---

(١) العين ص ٣٤١

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٧٤

(٣) المفردات ص ١٩٧-١٩٨

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي ٧٨/٢

الكمال ، وقال شيخنا : هو الطمع في ممكن الحصول ، أي : بخلاف التمني فإنَّه يكون في الممكن والمستحيل ويتعارضان ولا يتعلقان إلّا بالمعاني)) [١]

تبيَّن من كلام أهل اللغة أنَّ الرجاء ليس من الأضداد ، وقد عرَّفوه بما يرادفه ، فجعلوه بمعنى الأمل ، أو الظن فيما يسرّ ، أو المبالاة والاكتراث ، أو الطمع ، والألفاظ المرادفة للرجاء جميعها واحدة من حيث إنَّ كلًّا منها لا يعني الرجاء بعينه بل المعنى القريب منه ، أي : لا بدَّ من أن يكون بينها وبين الرجاء فروق معنوية خاصَّة ، فقد قال العسكري مثلًا في ((الفرق بين الرجاء والطمع ، أنَّ الرجاء هو الظنّ بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشكّ فيه ، إلّا أنَّ ظنَّه فيه أغلب ، وليس هو من قبيل العلم ، والشاهد أنَّه لا يقال : أرجو أن يدخل النبي الجنة ، لكون ذلك متيقنًا ، ويقال : أرجو أن يدخل فلان الجنة إذا لم يعلم ذلك ، والرجاء : الأمل في الخير...ولا يكون الرجاء إلّا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجوِّ أو ما به إليه ، ويتعدى بنفسه ، تقول : رجوتُ زيدًا ، والمراد : رجوتُ الخير من زيد ؛ لأنَّ الرجاء لا يتعدى إلى أعيان الرجال ، والطمع ما يكون من غير سبب يدعو إليه ، فإذا طمعتَ في الشيء فكأنَّك حدَّثتَ نفسك به من غير أن يكون هناك سبب يدعو إليه ، ولهذا ذم الطمع ، ولم يذمّ الرجاء))[٢]وقال : ((إنَّ الأمل رجاء يستمرّ ؛ فلأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمرّ وطال : تأمُّلٌ ، وأصله من الأميل ، وهو الرمل المستطيل))[٣]

١٣-**الساحر** : قال أبو بكر : ((والساحر من الأضداد ، يقال : ساحر للمذموم المفسد ، ويقال : ساحر للممدوح العالم ، قال الله جلّ وعزَّ : ﴿وَقَالُوا يَا

---

(١) للزبيدي ٣٨/٦٩

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٧٤-٢٧٥

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٧٥

أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ){الزخرف : ٤٩} أرادوا : يا أيها العالم الفاضل ؛ لأنَّهم لا يخاطبونه بالذم والعيب في حالة حاجتهم إلى دعائه لهم واستنقاذه إياهم من العذاب والهلكة))[١]

السحر كما قال ابن فارس : ((خَدْع وشبهة))[٢] ((وقال بعض أهل العلم : السِّحْر : اسم لما لطف وخفي سببه))[٣] وهذه هي دلالته في اللغة ، ولم يرد السحر وأصحابه إلّا مذمومًا في القرآن الكريم ، أمَّا الساحر في قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) فقد وُجِّه على أربعة أوجه :

الأول : قال الزجاج : ((إن قال قائل : كيف يقولون لموسى عليه السلام : يا أيها الساحر ، وهم يزعمون أنَّهم مهتدون ؟ فالجواب أنَّهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالسحر)) [٤] أي : ((نادوه بما كانوا ينادونه من قبل ، ذلك حسب عادتهم))

الثاني : أنَّ المعنى ((يا أيها الذي غلبنا بسحره ، يقال : ساحرته فسحرته ، أي : غلبته بالسحر ، كقول العرب : خاصمته فخصمته ، أي : غلبته بالخصومة ، وفاضلته ففضلته ، ونحوها))

الثالث : ((أن يكون أراد الساحر على الحقيقة على معنى الاستفهام ، فلم يلمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا))

الرابع : أنَّهم ((كانوا يسمون العلماء سحرة ، فنادوه بذلك على سبيل التعظيم ، قال ابن عباس : (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) يا أيها العالم ، وكان الساحر فيهم عظيمًا ، يوقرونه ، ولم يكن السحر صفة ذم)) [٥]

---

(١) الأضداد ص ٢٠٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣٠ وينظر : المفردات ص ٢٣٣ .

(٣) نزهة الأعين ص ١٥٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣١٥/٤

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٦٩/١٦-٧٠ وينظر : زاد المسير ١٣٩/٧

فالمراد من الساحر في الأوجه الثلاثة الأولى الساحر بصفته المعروفة والمذمومة كما هو حاله في القرآن الكريم ، أمَّا الوجه الأخير فلو صحَّ أنَّه هو المعنى المراد فلا يكون أيضًا من الأضداد ؛ لأنَّه هو بصفة العالم الممدوح في عرف قوم موسى وليس في شرع الله وكتابه .

١٤-**السجر-المسجور** : قال أبو بكر : ((والمسجور من الأضداد ، يقال : المسجور للمملوء ، والمسجور للفارغ ، قال الله عزَّ وجلَّ : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ){الطور :٦} يريد المملوء...وقال ابن السِّكِّيت : قال أبو عمرو ، يقال : قد سجرَ الماءُ الفراتَ والنهرَ والغديرَ والمصنعةَ : إذا ملأها...وقال الله عزَّ وجلَّ : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ){التكوير : ٦} فمعناه : أفضى بعضها إلى بعض ، فصارت بحرًا واحدًا ، وقال ابن السكيت : يجوز أن يكون المعنى : فُرِّغتْ ، أي : فرِّغ بعضها في بعض ، وقالت : امرأة من أهل الحجاز : إنَّ حوضكم لمسجور ، وما كانت فيه قطرة ، ففيه وجهان : أحدهما أن يكون معناه : إنَّ حوضكم لفارغ ، والآخر : إنَّ حوضكم لملآن ، على جهة التفاؤل ، كما قالوا للعطشان : إنَّه لريَّان ، وللمهلكة مفازة))[١] وقال أبو الطيِّب : ((ومن الأضداد قال التَّوَّزيَ : المسجور : المملوء ، والمسجور : الفارغ...وقال قوم في قوله جلَّ اسمه : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) أي : فُرِّغ بعضها في بعض ، وقال أبو عمرو ، يقال : سجرَ السيلُ الفراتَ أو النهرَ أو الغديرَ أو المصْنعةَ[٢] يسجرها سجْرًا : إذا ملأها ، وعينٌ مسجورة ، أي : مُلئتْ ماءً ، قال أبو حاتم : المسجور : المملوء...قال : وأمَّا المسجور الفارغ ، فقد بلغني ذلك ولا أستيقنه ، ولستُ أقول في قوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) ولا في قوله تعالى : (وَالْبَحْرِ

---

(١) الأضداد ص ٤٤-٤٥ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب ص ٢٣٤-٢٣٧

(٢) المصنعة : الحوض ، أو شبه الصهريج يُجمع فيه ماء المطر

الْمَسْجُورِ) شيئًا ؛ لأنَّه قرآن ، فأتَهَيَبُه ، أمَّا قول الجارية : إنَّ حوضكم لمسجور ، ولم يكن فيه قطرة ، فيمكن أن يكون هذا الكلام على التفاؤل ، فأرادتِ الفألَ ، كما يقال للعطشان ريَّان ، وللَّديغ سليم ، أي : سَيروى وسَيسلم ، وإنَّه لمسجور غدًا ، أي : سيكون ذلك...قال أبو حاتم : وأمَّا قولك : سجرتُ التنورَ ، فهو مسجور ، فمذهب آخر فيما نرى...وقال غيره : سجرتُ التنورَ ، إنَّما معناه : ملأته حطبًا ونارًا))[1]

قال ابن فارس : ((السين والجيم والراء أصول ثلاثة : الملء ، والمخالطة ، والإيقاد ، فأمَّا الملء فمنه البحر المسجور ، أي : المملوء ، ويقال للموضع الذي يأتي عليه السيل فيملأه ساجر ، وأمَّا المخالطة فالسجير...ومنه عين سجراء ، إذا خالط بياضها حمرة ، وأمَّا الإيقاد فقولهم : سجرتُ التنور : إذا أوقدته...ومما يقارب هذا استجرتِ الإبل على نجائها : إذا جدَّت ؛ لأنَّها تتقد في سيرها اتقادًا ، ومنه سجرتِ الناقةُ ، إذا حنَّت حنينًا شديدًا))[2]

وقال الراغب : ((السَّجَر : تهييج النار ، يقال : سجرتُ النار ، ومنه : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ){الطور :٦}...وقوله : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ){التكوير : ٦} أي : أضرمتْ نارًا ، وقيل : غيضت مياهها ، وإنَّما يكون كذلك لتسجير النار فيه ، (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ){غافر : ٧٢}...وسجرتِ الناقة ، استعارة لالتهابها في العدو، نحو : اشتعلت الناقة ، والسَّجير الخليل الذي يُسجَرُ في مودَّة خليله ، كقولهم : فلان مُحرَق في مودَّة فلان))[3]

---

(١) الأضداد في كلام العرب ص ٢٣٤-٢٣٧

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٢٩-٤٣٠

(٣) المفردات ص ٢٣١-٢٣٢

قال الطبري : وقوله تعالى : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور ، فقال بعضهم : الموقَد ، وتأوَّل ذلك : والبحر الموقد المحمَّى...وقال آخرون : المسجور : المملوء...وقال آخرون : بل المسجور : الذي قد ذهب ماؤه)) [١] وقال الواحدي : (((وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) المملوء ، يقال : سجرتُ الإناءَ إذا ملأته...وقال مجاهد : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الموقد)) [٢]

وقال ابن الجوزي : ((وفي المسجور أربعة أقوال :

أحدها : المملوء ، قاله الحسن ، وأبو صالح ، وابن السائب ، وجميع اللغويين .

والثاني : أنَّه الموقد ، قاله مجاهد .

والثالث : أنَّه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب ، وروي عن الحسن قال : تُسجَر ، يعني البحار ، حتى يذهب ماؤها ، فلا يبقى فيها قطرة ، وقول هذين يرجع إلى معنى قول مجاهد ، وقد نقل في الحديث أنَّ الله تعالى يجعل البحار كلّها نارًا ، فتزاد في نار جهنَّم .

والرابع : أنَّ المسجور : المختلط عذبه بملحه)) [٣]

وكذلك قوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) في معناه ((ثلاثة أقوال :

أحدها: أوقدت فاشتعلت نارًا .

والثاني : يبست .

والثالث : ملئت بأن صارت بحرًا واحدًا))[٤]

---

(١) جامع البيان ٢٥/٢٧

(٢) الوسيط ١٨٥/٤

(٣) زاد المسير ٢٦٢/٧-٢٦٣

(٤) زاد المسير ٢٠٨/٨-٢٠٩ وينظر : جامع البيان للطبري ٨٦/٣٠-٨٧

وقال الطبري : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : مُلئت حتى فاضت وسالت ، كما وصفها الله في الموضع الآخر : (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ){الانفطار : ٣} والعرب تقول للنهر ، أو للرَّكيّ : ماء مسجور)) (١)

فالصحيح أنَّ المسجور ليس من الأضداد لا في اللغة ، ولا في القرآن الكريم ، فقد تبيَّن كما رأيت أنَّ المسجور في اللغة والقرآن جاء على معنيين : الموقد ، والمملوء ، أمَّا الفارغ فقد قيل به على أنَّه قول ضعيف ومردود ، والجدير بالذكر أنَّ ابن فارس لم يجعل معنى الفارغ ضمن الأصول الثلاثة التي ذكرها للفظ السجر .

١٥–**سرَّ–أسرَّ** : قال أبو بكر بن الأنباري : ((وأسررتُ من الأضداد أيضًا ، يكون أسررتُ بمعنى كتمتُ ، وهو الغالب على الحرف ، ويكون بمعنى أظهرتُ ، قال الله عزَّ وجلَّ : (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ){الأنبياء : ٣} يعني (أَسَرُّواْ) ها هنا كتموا ، وقال تبارك وتعالى في غير هذا الموضع : (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ){يونس : ٥٤} فقال الفراء والمفسرون : معناه : كتم الرؤساء الندامة من السفلة الذين أضلوهم ، وقال أبو عبيدة ، وقطرب : معناه : وأظهروا الندامة عند معاينة العذاب)) (٢)

قال ابن فارس : ((السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء ، وما كان من خالصه ومستقره ، لا يخرج شيء منه عن هذا ، فالسرُّ : خلاف الإعلان ، يقال : أسررتُ الشيء إسرارًا ، خلاف أعلنته...وحدَّثني محمد بن هرون الثقفي عن علي بن عبد العزيز ، عن أبي الحسن الأثرم عن أبي عبيدة ، قال : أسررتُ الشيء أخفيته ، وأسررتُه : أعلنته ، وقرأ : (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ

---

(١) جامع البيان ٨٦/٣٠

(٢) الأضداد ص٣٨ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب ص ٢٣٠

الْعَذَابَ)}يونس : ٥٤} قال : أظهروها ، وأنشد قول امرئ القيس : لو يُسرّون مقتلي ، أي : لو يظهرون ، ثم حدثني بعض أهل العلم ، عن أبي الحسن عبد الله بن سفيان النحوي ، قال : قال الفراء : أخطأ أبو عبيدة التفسير ، وصحَّف في الاستشهاد ، أمَّا التفسير ، فقال : وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ ، أي : كتموها خوف الشماتة (أي : هي بمعنى : كتموها وليس بمعنى : أظهروها ، كما قال أبو عبيدة) وأمَّا التصحيف فإنَّما قال امرؤ القيس : لو يشرّون مقتلي ، أي : لو يظهرون ، يقال : أشررتُ الشيءَ : إذا أبرزته ، ومن ذلك : أشررتُ اللحمَ للشمس)) [١]

وقد أبقى جمهور المفسرين (أَسَرُّواْ) على بابها بمعنى : كتموا ، في قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) [٢] وقال ابن عطية : ((و(أَسَرُّواْ) لفظة تجيء بمعنى : أخفوا ، وهي حينئذ من السرِّ ، وتجيء بمعنى : أظهروا ، وهي حينئذ من أسارير الوجه)) [٣] وقال القرطبي : ((و(أَسَرُّواْ) أي : أخفوها...وقيل (أَسَرُّواْ) أظهروا ، والكلمة من الأضداد)) [٤]والصحيح أنَّ (أَسَرُّواْ) على بابها بمعنى : كتموا وأخفوا ، قال الواحدي : (((وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) أي : أخفى الرؤساء في الكفر الندامة من الذين أضلوهم وستروها عنهم ، هذا قول عامَّة المفسرين ، وأهل التأويل ، وقال أبو عبيدة : الإسرار من الأضداد ، يقال : أسررتُ الشيء : أخفيته ، وأسررتُه : أعلنته ، قال :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٠٣-٤٠٤

(٢) ينظر : تفسير مقاتل ٩٥/٢ ومعاني القرآن للفراء ٣١٥/١ وجامع البيان للطبري ١٤٢/١١ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١/٣

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٥/٣

(٤) الجامع لأحكام القرطبي ٢٤١/٨

ومن الإعلان ، قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) أي : أظهروها ، واختار المفضل هذا القول ، وقال : ليس ذلك اليوم يوم تصبّر ، ولا تصنّع))[1]

ومن أراد أن يتقي الله في تفسير كتاب الله عليه أن يبقي اللفظ على معناه لا أن يحرِّف دلالة اللفظ إلى الضدّ ، ثم يسوِّغ هذا التحريف بعللٍ مختلقة ، فيكفي لردِّ هذا التحريف وما استند إليه من حجج أنَّه سبحانه لو أراد معنى الإظهار لاستعمل لفظه ، وما كان يعجزه أن يقول : وأظهروا الندامة ، وما أدرانا أنَّه ليس في يوم القيامة تصبّر ولا تصنّع ؟ ألم يقل سبحانه : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ){البقرة : ١٧٥} أولم يقل جلَّ ثناؤه : (اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){الطور : ١٦} فالواجب أن نبقي اللفظ على معناه ، ثم لا مانع بعد ذلك من أن نبحث عن معرفة أسباب حصوله ، قال الزمخشري : (((وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) لأنَّهم بُهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ، ولم يخطر ببالهم ، وعاينوا من شدة الأمر ، وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم ، فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخًا ، ولا ما يفعله الجازع ، سوى إسرار الندم حتى لا ينبس بكلمة ، ويبقى جامدًا مبهوتًا ، وقيل : أسرَّ رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم ، حياء منهم ، وخوفًا من توبيخهم))[2] وقال الشوكاني : ((قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) ومعنى : أَسَرُّواْ : أخفوا ، أي : لم يظهروا الندامة ، بل أخفوها لما قد شاهدوه في ذلك الموطن مما سلب عقولهم ، وذهب بتجلدهم ، ويمكن أنَّه بقي فيهم وهم على تلك الحالة عرق ينزعهم إلى العصبية التي كانوا عليها في الدنيا ، فأسروا الندامة لئلّا يشمت بهم المؤمنون ، وقيل : أسرَّها الرؤساء فيما بينهم دون أتباعهم خوفًا من توبيخهم لهم ؛ لكونهم هم الذين أضلوهم وحالوا بينهم

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/٥٥٠

(٢) الكشاف ٢/٣٤٠

وبين الإسلام ، ووقوع هذا منهم كان عند رؤية العذاب ، وأمَّا بعد الدخول فيه فهم الذين قالوا : (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ){المؤمنون : ١٠٦}))[١]

فـ(أَسَرُّواْ) إذن في قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) على بابها ، وهي كذلك في قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ) وكما جاء في كتاب الأضداد نفسه ، إلّا أنَّ أبا عبيدة قال في تفسير هذه الآية : ((و(أَسَرُّواْ) من حروف الأضداد ، أي : أظهروا))[٢] قال ابن فارس : ((النون والجيم والحرف المعتلّ أصلان : يدلُّ أحدهما على كشط وكشف ، والآخر على ستر وإخفاء ، فالأول : نجوتُ الجلد : إذا كشطتَه...والأصل الآخر : النجو والنجوى : السرُّ بين اثنين))[٣] فهذا هو معنى النجوى فكيف يصح جعل الإسرار فيه بمعنى الإظهار ؟! ولهذا قال الزمخشري في تفسير الآية : ((فإن قلتَ : النجوى ، وهي اسم من التناجي لا تكون إلّا خفية فما معنى قوله تعالى : (وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ) قلتُ : معناه : وبالغوا في إخفائها ، أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ، ولا يعلم أنَّهم متناجون)) [٤]

تبيَّن فيما تقدم ذكره أنَّ أسرّ : ليس من الأضداد في القرآن الكريم ، وهي لم ترد فيه إلّا بمعنى الإخفاء .

١٦–صار : قال أبو بكر : ((وصار حرف من الأضداد ، يقال : صُرت الشيء : إذا جمعته ، وصُرته : إذا قطَّعته ، وفسَّر الناس قوله تعالى :

---

(١) فتح القدير ٥٧٧/٢ وينظر : روح المعاني للآلوسي ١٣٠/٦

(٢) مجاز القرآن ص ١٧٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٨٧–٨٨٨

(٤) الكشاف ٩٩/٣ وينظر : أنوار التنزيل ٤٥/٤ ومدارك التنزيل ص ٧٠٩ وفتح القدير للشوكاني ٤٩٢/٣ وروح المعاني للآلوسي ٩٩/٩

(فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ){البقرة : ٢٦٠} على ضربين ، فقال ابن عباس : معناه : قطِّعْهنَّ ، وقال غيره : معناه : ضمّهنَّ إليك)) [١]

قرأ حمزة (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد وقرأ الباقون بالضم ، ((وهو الاختيار)) [٢] وحجة من قرأ بالكسر جعله من صار يصير ، وحجة من قرأ بالضم جعله من صار يصور ، فهما لغتان والمعنى في القراءتين : أملهنَّ واجمعهنَّ ، أو قطعهنَّ وشققهنّ [٣] والصواب أنَّ المراد من القراءتين هو المعنى الأول ، إلّا أنَّ المفسرين أضافوا المعنى الثاني ؛ لأنَّ السياق يقتضيه ، ولا وجود للفظه فيه ، والدليل على ذلك قول الخليل : ((الصَوَرُ : الميل ، يقال : فلان يصور عنقه إلى كذا ، أي : مال بعنقه ووجَّهه نحوه ، والنعت : أصْوَر قال الشاعر :

فقلتُ لها غُضِّي فإني إلى التي تريدين أن أصبو إليها غير أصْوَرِ

وقوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ) أي : فشققهنَّ إليك ، يقال : صُرهنَّ ، أي : ضمهنَّ ، ويقال : قطعهنَّ)) [٤] والشاهد أنَّ الخليل عيَّن معنى الميل في اللغة ، لكن لمَّا جاء إلى تفسير قوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ) أجاز معنى الضم والتقطيع ، والدليل على ذلك أيضًا (إِلَيْكَ) إذ يقال : أمِلِ الشيءَ إليك ، وضُمَّه إليك ، ولا يقال : قطِّعْهُنَّ إليك ، أو شقِّقْهُنَّ إليك ، وقد قال ابن فارس ((الصاد والواو والراء ، كلمات كثيرة متباينة الأصول...ومما ينقاس منه قولهم : صَوَرَ يَصُور

---

(١) الأضداد ص ٣٢ وينظر : الأضداد في كلام العرب ص ٢٦٨

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه الأصبهاني ص ٦١

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٣/٦٦-٦٩ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢٩٤ والكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي ١/٣١٣ وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه الأصبهاني ص ٦١ ولسان العرب ٨/٣٠٤.

(٤) ينظر : العين ص ٥٣٥ .

: إذا مال ، وصُرتُ الشيءَ أصُوره وأصرْتُه : إذا أملته إليك))[١] وفعل الأمر منه : صُر (بضم الصاد) وقال : ((الصاد والياء والراء : أصل صحيح وهو المآل والمرجع ، من ذلك صار يصير صيرًا وصيرورة))[٢] وفعل الأمر منه : صِر (بكسر الصاد) وكلا الجذرين : يفيد الميل والضم ، لذلك قال الفراء : ((ضمَّ الصادَ العامَّةُ ، وكان أصحاب عبيد الله يكسرون ، وهما لغتان[٣] فأمَّا الضم فكثير ، وأمَّا الكسر ففي هُذَيل وسُلَيم...ويُفَسَّر معناه : قطعهنَّ ، ويقال : وجههنَّ ، ولم نجد قطعهنَّ معروفة من هذين الوجهين)) [٤] والمعنى عند أبي عبيدة : ((ضمهنَّ إليك ثم قطعهنَّ (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)))[٥]وهذا هو الصواب وهو الجمع بين المعنيين بإضمار القطع ، وأوضح ابن قتيبة هذه الحقيقة بقوله : (((فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) أي : فضمهنَّ إليك ، يقال : صرتُ الشيء فانصار ، أي : أملتُه فمال (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) أي : رُبعًا من كل طير فأضمر (فقطعهنّ) واكتفى بقوله (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) عن قوله : فقطعهنَّ ؛ لأنَّه يدل عليه ، وهذا كما تقول : خذ هذا الثوب واجعل على كلّ رمح عندك منه علمًا)) [٦]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٩٧.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٩٩.

(٣) وينظر : لسان العرب ٣٠٤/٨

(٤) معاني القرآن ١٢٦/١ .

(٥) مجاز القرآن ص ٤٣ .

(٦) تفسير غريب القرآن ص ٩٦ ، وينظر : زاد المسير ٢٥٩/١-٢٦٠ .

وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) قرأ الجمهور بضم الصاد ، والمعنى : أملهنَّ إليك ، يقال : صرتُ الشيءَ فانصار ، أي : أملته فمال ، وقرأ أبو جعفر وحمزة بكسر الصاد ، قال اليزيدي : هما واحد))[1]

ف(صار) إذن ليس من الأضداد ، وهو لم يرد في قوله تعالى : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) إلّا بمعنى الميل والضم ، والمعنى كما قال الحذاق من أهل اللغة والتفسير : أملهنَّ وضمهنَّ إليك مدة ، ثم اذبحهنَّ وقطِّعهنَّ ، إلّا أنَّه أضمر لفظ الذبح والتقطيع ، لكونه مفهومًا من قوله تعالى : (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) قال ابن كثير ((وقال العوفي عن ابن عباس : (فَصُرْهُنَّ) أوثقهنَّ ، فلمَّا أوثقهنَّ ذبحهنَّ ، ثم جعل على كل جبل منهنَّ جزءًا ، فذكروا أنَّه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهنَّ ثم قطعهنَّ ونتف ريشهنَّ ومزَّقهنَّ ، وخلط بعضهنَّ في بعض ، ثم جزَّأهنَّ أجزاء ، وجعل على كل جبل منهنَّ جزءًا ، قيل أربعة أجبل ، وقيل سبعة ، قال ابن عباس : وأخذ رؤوسهنَّ بيده ، ثم أمره الله تعالى أن يدعوهنَّ ، فدعاهنَّ كما أمره الله تعالى ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض ، حتى قام كل طائر على حدة ، وأتينه يمشين سعيًا ، ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام ، فإذا قدَّم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدَّم له رأسه تركَّب مع بقية جثته بحول الله وقوته)) [2]

وعندي أنَّ المراد من قوله : (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) هو التعرف إلى أشكالهنَّ بدقة فيألفهنَّ ويألفنه حتى تصل هذه المعرفة إلى درجة التمكن من تمييزهنَّ من بين أجناسهنَّ إذا اختلطن بهنَّ ، والسر في ذلك هو ليطمئنَّ قلب إبراهيم عليه

---

(١) زاد المسير ٢٥٩/١-٢٦٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤١٣/١.

السلام ، بأنَّ الله عز وجل أعاد إليه الطيور نفسها التي ذبحهنَّ وقطعهنَّ ، لا طيورًا أخرى

١٧ –**صرخ–الصريخ والصارخ** : قال أبو بكر : ((والصريخ والصارخ من الأضداد ، يقال : صارخ وصريخ للمغيث ، وصارخ وصريخ للمستغيث...قال الله تعالى : (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ){يس : ٤٣} فمعناه : فلا مغيث لهم ، وقال تعالى : (مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ){إبراهيم : ٢٢} فمعناه : ما أنا بمغيثكم)) [(١)] وقال أبو الطيِّب : ((ومن الأضداد الصارخ والصريخ ، قال أبو حاتم : الصريخ المستغيث ، والصريخ المغيث ، ولم يُعرَف الصارخ إلّا بمعنى المستغيث...وفي التنزيل : (وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ){يس : ٤٣} أي : لا مغيث...ويقال : أصرختُ الرجلَ أُصرخه إصراخًا ، أي : أعنته ، ومنه قوله تعالى : (مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ){إبراهيم : ٢٢})) [(٢)]

قال ابن فارس : ((الصاد والراء والخاء أصيل يدلُ على صوت رفيع ، من ذلك الصراخ ، يقال : صرَخ يصرُخُ ، وهو إذا صوَّت ، ويقال : الصارخ : المستغيث ، والصارخ : المغيث ، ويقال : بل المغيث مُصْرِخ ، لقوله تعالى في قصة من قال : (مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ){إبراهيم : ٢٢})) [(٣)]

قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى : (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ){يس : ٤٣} ((والصريخ هنا بناء الفاعل بمعنى المُصرِخ ، وذلك أنَّك تقول : صارخ بمعنى مستغيث ، ومُصرِخ بمعنى مغيث ، ويجيء صريخ مرة بمعنى هذا ، ومرة بمعنى هذا ؛ لأنَّ فعيلًا من أبنية اسم الفاعل ، فمرة يجيء من أصرخ ، ومرة

---

(١) الأضداد ص ٦٠

(٢) الأضداد في كلام العرب ص ٢٧٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٠٨

يجيء من صَرَخَ إذا استغاث)) [١] قال القرطبي : (((فَلا صَرِيخَ لَهُمْ) أي : لا مغيث لهم...و(صَرِيخَ) بمعنى مُصرِخ))[٢] وقال أبو حيان الأندلسي : ((والصريخ فعيل ، بمعنى صارخ ، أي : مستغيث ، وبمعنى مُصرِخ ، أي : مُغيث ، وهذا معناه هنا ، أي : فلا مُغيث لهم ولا مُعين))[٣]

لم يرد الصارخ في القرآن الكريم ، أمَّا الصريخ فلا يُعَدُّ من الأضداد ؛ لأنَّه لم يرد إلّا في موضع واحد ، وبمعنى واحد

١٨–**الصلاة** : قال أبو بكر : ((والصلاة من الأضداد ، يقال للمصلَّى من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة ، قال الله عزَّ وجلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ){النساء : ٤٣} أراد : لا تقربوا المصلَّى ، هذا تفسير أبي عبيدة وغيره ، وقال عزَّ وجلَّ : (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا){الحج : ٤٠} والصلوات عُنِي بها كنائس اليهود ، واحدتها صلاة...وقال بعض المفسرين : الكنيسة بالعبرانية يقال لها صلوثا ، فعرَّبتها العرب ، فقالت : صلاة...وقال بعض المفسرين : لم يرد الله بالصلوات كنائس اليهود ، ولكنه أراد بالصلوات المعروفة ، فقيل له : كيف تهدَّم الصلوات ؟ فقال : تهديمها تعطيلها ، وأخرجه من باب المجاز)) [٤]

بنى المصنف كما ترى جعل الصلاة من الأضداد على أساس أنَّ الصلاة في سورة النساء تعنى مصلَّى المسلمين ، وقد صرَّح المصنف نفسه أنَّ هذا التأويل ليس مذهب كلّ أهل التفسير ، بل هو مذهب أبي عبيدة وغيره

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٥٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٢

(٣) البحر المحيط ٧/٤٤٩

(٤) الأضداد ص ٢٠٦

جاء في التفسير : ((وفي معنى قوله تعالى : (لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) قولان : أحدهما : لا تتعرَّضوا بالسكر في أوقات الصلاة ، والثاني : لا تدخلوا في الصلاة في حال السكر ، والأول أصحُّ ؛ لأنَّ السكران لا يعقل ما يخاطب به)) [(١)] وجاء ((قوله تعالى : (لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ) اختلف العلماء في المراد بالصلاة هنا ، فقالت طائفة : هي العبادة المعروفة نفسها ، وهو قول أبي حنيفة ، ولذلك قال : (حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ) وقالت طائفة : المراد مواضع الصلاة ، وهو قول الشافعي ، فحذف المضاف)) [(٢)]

ولو صح أنَّ الصلاة في سورة النساء تعني مصلَّى المسلمين ، لما صح جعل الصلاة من الأضداد ، وأين هو التضاد؟! ؛ لأنَّ المراد من تسمية المصلَّى مصلَّى كون الصلاة تؤدَّى فيه من قبل المسلمين ، وكذلك سُمِّيت الكنائس صلوات ؛ لأنَّه تؤدى فيها الصلاة من قبل اليهود ، ففي كليهما اتخذت أماكن للصلاة والعبادة ، فأصل التسمية واحد ، وسبب التسمية واحد ، فالدلالة واحدة ولا أضداد ، ثم تأملَّ سياق الآية : (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) فقد جاءت الصوامع والبيَع والصلوات والمساجد في سياق واحد ، وشأن واحد ، فجعلها في سياق الأماكن التي اتخِذت للعبادة والصلاة ، حتى أسند إلى جميعها الفعل نفسه ، وحتى جاز احتمال عود الهاء في (فِيهَا) إليها جميعها ، فقد جاء في التفسير : ((أي : لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم ، وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بِيَعًا ، ولا لرهبانهم صوامع ، ولا لليهود صلوات ، أي : كنائس ، وسميت الكنيسة صلاة ؛ لأنَّه يُصلَّى فيها ، ولا للمسلمين

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢/٥٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن٥/١٥١

مساجد ، أو لغلب المشركون في أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، على المسلمين ، وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم ، وهدَّموا متعبدات الفريقين ، وقدَّم غير المساجد عليها لتقدمها وجودًا ، أو لقربها من التهديم (يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) في المساجد ، أو في جميع ما تقدم))[١]

١٩-**الظن** : قال أبو بكر : ((فأوَّل ذلك الظنّ يقع على معان أربعة : معنيان متضادان : أحدهما : الشكّ ، والآخر اليقين الذي لا شكَّ فيه ، فأمَّا معنى الشك فأكثر من أن تُحصى شواهده ، وأمَّا معنى اليقين فمنه قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا){الجنّ :١٢} معناه : علمنا ، وقال جلَّ اسمه : (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا){الكهف : ٥٣} معناه : فعلموا بغير شك))[٢]

أجمع أهل اللغة على أنَّ الظنَّ جاء في القرآن الكريم بمعنى الشك وبمعنى اليقين[٣] وهذا الذي أجمعوا عليه مردود عندي ذلك أنَّه لا يصح مجيء الظن في القرآن الكريم بمعنى الشك في مواضع ، وبمعنى اليقين في مواضع أُخَر ؛ لأنَّ ألفاظ هذه المعاني الثلاثة : الظن والشك ، واليقين ، قد استعملها القرآن الكريم على حد سواء ، مما يدل قطعًا على أنَّ لكل منها معناه الخاص به ، الذي يميزه من معنى اللفظين الآخرين ، والذي أراه أنَّ الظن لا يجيء بمعنى الشك ، ولا بمعنى اليقين ، وأهل اللغة أنفسهم ، وإن أجمعوا على أنَّ الظن ، إمَّا شكٌّ ، وإمَّا يقين ، ذكروا من جهة أخرى أنَّ الظنَّ لا هو شكٌّ ، ولا هو يقين ، وإنَّما يجيء بين حدّيهما ، فالعسكري وإن قال في كتابه الوجوه والنظائر : ((الظن في العربية على وجهين : الشك ، واليقين ، وقد جاء في

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ٧٤١

(٢) الأضداد ص ٢٠ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب اللغوي ص ٢٩٦

(٣) ينظر : العين ص ٥٨٩ ومقاييس اللغة ص ٥٥١ ولسان العرب ١٩٦/٩

القرآن كذلك))[١] فقد ذكر في كتابه الفروق اللغوية : ((الفرق بين الظن ، والشك أنَّ الشك استواء طرفي التجويز ، والظن رجحان أحد طرفي التجويز...ويجوز أن يقال : الظن : قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة ، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر))[٢]

فـ((الشك خلاف اليقين ، وأصله اضطراب النفس ، ثمَّ استعمل في التردد بين الشيئين سواء استوى طرفاه أو ترجح أحدهما على الآخر...وقال الأصوليون : هو تردد الذهن بين أمرين على سواء ، قالوا : التردد بين الطرفين إن كان على السواء فهو الشك ، وإلّا فالراجح ظنٌّ ، والمرجوح وهم)) [٣] وقال ابن سيده : ((الظنّ : شك ويقين ، إلّا أنَّه ليس بيقين عيان ، إنَّما هو يقين تدبّر ، فأمَّا يقين العيان فلا يقال فيه إلّا علم)) [٤] وقال الراغب : ((الظنّ : اسم لِما يحصل عن أمارة ، ومتى قويت أدَّت إلى العلم ، ومتى ضعفت جدًّا لم يتجاوز حدَّ الوهم))[٥] وقال ابن الجوزي : (الظن في الأصل : قوة أحد الشيئين على نقيضه في النفس ، والفرق بينه وبين الشك أنَّ الشك : التردد في

---

(١) ص ٢٣٥.

(٢) ص ١١٣ .

(٣) فروق اللغات ، لنور الدين الحسيني ص ١٥٢ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٨/١٠ وينظر : لسان العرب ١٩٦/٩ وتاج العروس ١٨٥/٣٥

(٥) المفردات ص ٣٢٩

أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر))[1] وقال الفيروزآبادي : ((الظنّ : التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم)) [2]

وقال الدكتور فاضل السامرائي في الظن : ((والذي يبدو لي أنَّ إبقاءها على معناها ما أمكن أولى ، وما ذُكِر من معاني اليقين يمكن تأويله فقوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ){البقرة : ٢٤٩} يمكن أن يكون معناه : الذين وطَّنوا أنفسهم على الثبات في ساحة القتال ، وظنوا أنَّهم سيلاقون ربهم في هذه الوقعة ، وقوله تعالى : (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ) يعني أنِّي ملاقيه على هذه الحال ، وهي حال السعادة ، وهذا موطن الظنّ لا العلم ، وقوله تعالى : (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) بمعنى أنَّهم لم ييأسوا من أن يخفف الله عنهم ، ولكن الظنّ الراجح أنَّهم سيواقعون النار ، وقوله تعالى : (وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ){التوبة : ١١٨} بمعنى أنَّهم يطمعون في رحمة الله والتوبة عليهم ، وهذا موطن ظنّ لا يقين ، ونحوه ما ذكر في بقية الآيات وغيرها ، وأظنك تحسّ الفرق بين كلمتي ظنَّ وعلمَ في مثل هذه المواطن)) [3]

فهذه هي الحقيقة أنَّ الظنُّ لا هو يقين ، ولا هو شك على خلاف ما أجمعوا ، ولا هو حالة بينهما ، بل هو معنى محايد ، وأرى أنَّ أقرب المعاني إليه الاعتقاد ، والجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (اعتقد) وقد يكون استعمل (ظنَّ) بدلا منه ، والله أعلم ، فالظن معنى يقع بين الشك واليقين موقع الحياد ، فهذه هي حقيقة الظن التي ينبغي على أساسها أن تُفَسَّر شواهده في القرآن الكريم في كتب اللغة والتفسير ، فقوله تعالى : (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن

---

(١) نزهة الأعين ص ١٩٦ .

(٢) تاج العروس ١٨٥/٣٥

(٣) معاني النحو ٢٠/٢

نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الأرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا) أي : اعتقدنا ذلك ، وقوله تعالى : (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) معناه : واعتقدوا ، وما يعتقده الإنسان قد يكون في مكانه ، وقد يكون في غير محلِّه ، كاعتقاد المسلم في أخيه المسلم الذي ارتاب به ، لذلك قال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ){الحجرات : ١٢}

ومصطلح العقيدة استعمل لأهل كلِّ ملَّة ، فيقال : عقيدة اليهود ، وعقيدة النصارى ، وعقيدة المسلمين ، فكلٌّ منهم يعتقد ما آمن به ، وسيعلم يوم القيامة مَن ضلَّ فيما اعتقده ، ومن أصاب ، من ذلك قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ {١٩} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ){الحاقة : ١٩-٢٠} والمعنى : أنَّ ما كنت اعتقده في الدنيا ، وجدته اليوم عيانًا .

٢٠-**عزر-التعزير** : قال أبو بكر : ((وعزَّرتُ حرف من الأضداد ، يقال : عزَّرتُ الرجل ، إذا أدَّبتَه ، وعنَّفتَه ، ولمتَه ، ومنه قول الفقهاء : يجب عليه التعزير ، ويقال : عزَّرتُ الرجل ، إذا عظَّمتَه وكرَّمتَه ، قال الله عز وجل : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا){الفتح : ٩} أراد بـ(تُعَزِّرُوهُ) تكرِّمونه وتعظِّمونه)) [١] وورد التعزير في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع جميعها بمعنى التكريم والتعظيم ، منها الموضع المذكور ، وقوله تعالى : (وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لاَّكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ){المائدة : ١٢} وقوله تعالى : (فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){الأعراف : ١٥٧} لذلك فإنَّ

---

(١) الأضداد ص ٩٨ رقم اللفظ ٨٨ وينظر : الأضداد في كلام العرب ،لأبي الطيِّب ص ٣١٩

التعزير لا يُعدُّ من الأضداد في القرآن الكريم ؛ لأنَّه لم يرد فيه إلّا بمعنى التعظيم والتكريم ، أمَّا معنى اللوم والتعنيف والتأديب فقد ورد في كلام الناس ، ولم يرد في كلام الله

٢١-عسى : قال أبو بكر بن الأنباري : ((وعسى لها معنيان متضادان ، أحدهما : الشك والطمع ، والآخر : اليقين ، قال الله عز وجل : (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ){البقرة : ٢١٦} معناه : ويقين أنَّ ذاك يكون ، وقال بعض المفسرين : عسى في جميع كتاب الله جلَّ وعزَّ واجبة ، وقال غيره : عسى في القرآن واجبة إلّا في موضعين : في سورة بني إسرائيل : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا){الإسراء : ٨} يعني بني النضير ، فما رحمهم ربهم ، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع العقوبة بهم ، وفي سورة التحريم : (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ){التحريم : ٥} فما أبدله الله بهنَّ أزواجًا ، ولا بِنَّ منه ، حتى قُبِض عليه السلام ، وقال تميم بن أُبَيَ في كون عسى إيجابًا :

ظنٌّ بهم كعسى وهم بِتَنُوفَةٍ   يتنازعون جوائز الأمثال

أراد : ظنٌّ بهم كيقين...وأنشد أبو العباس :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه   يكون وراءه فرج قريبُ

فـ(عسى) في هذا البيت على معنى الشك)) [١]

فقد ذهب ابن الأنباري إلى أنَّ (عسى) من الأضداد في القرآن الكريم ، وفي كلام العرب ، والصحيح أنَّ (عسى) ليست من الأضداد في كلام الله ؛ وقوله : ((وقال غيره : عسى في القرآن واجبة إلّا في موضعين : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) : (عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ))) خلاف ما جاء في كتب التفسير ، وما قاله في الشاهد الأول ((فما رحمهم ربهم ، بل

---

(١) الأضداد ص ٢٤-٢٥

قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوقع العقوبة بهم)) كان ذلك بعد العود لا بعد عسى ، قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) ((فلا يسلط عليكم القتل والسبي ، ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ استنقذهم على يد المقياس ، فردهم إلى بيت المقدس فعمروه ، وردَّ الله عزَّ وجلَّ إليهم ألفتهم ، وبعث فيهم أنبياء ، ثم قال : (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا) يقول : وإن عدتم إلى المعاصي عدنا إليكم بأشدّ مما أصابكم)) [١] وقال الطبري : ((و(عسى) من الله واجب ، وفعل الله ذلك بهم ، فكثر عددهم بعد ذلك ، ورفع خساستهم ، وجعل منهم الملوك والأنبياء...فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه)) [٢] وقال الواحدي : ((قوله : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) هذا ما أخبر الله به بني إسرائيل في كتابهم ، والمعنى : لعلَّ ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل ، ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ، ثم قال : (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا) قال الحسن : وإن عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة ، قال إبراهيم : ثم عادوا فأعاد الله بالعرب))[٣] وقال ابن الجوزي : ((قوله : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) هذا مما وُعدوا به في التوراة ، و(عسى) من الله واجبة ، فرحمهم الله بعد انتقامهم منهم ، وعمَّر بلادهم وأعاد نعمهم بعد سبعين سنة (وَإِنْ عُدتُّم) إلى معصيتنا (عُدْنَا) إلى عقوبتكم ، قال المفسرون : ثم إنَّهم عادوا إلى المعصية ، فبعث الله عليهم ملوكًا من ملوك فارس والروم ، قال قتادة : ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فهم في عذاب إلى يوم القيامة ، فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون)) [٤] أمَّا قوله في قوله تعالى : (عَسَى رَبُّهُ إِن

---

(١) تفسير مقاتل ٢٥٠/١-٢٥١

(٢) جامع البيان١٥/٥٢

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٩٨/٣

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٩/٥

طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) ((فما أبدله الله بهنَّ أزواجًا ، ولا بِنَّ منه ، حتى قُبِض عليه السلام)) فليس في محلِّه ؛ لأنَّ وجوب عسى كان بشرط طلاق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لهنَّ ، فلو طلقهنَّ لأبدله الله بهنَّ أزواجًا ، ولكنَّه لم يطلقهنَّ ((والمعنى : واجب من الله (إن طَلَّقَكُنَّ) رسوله (أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ)))[1]

وقال أبو الطيِّب : ((ومن الأضداد عسى ، قال أبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكًّا مرة ، ويقينًا أخرى ، قال الله عزَّ وجلَّ : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ){الإسراء : ٨} وعسى في القرآن واجبة ، قال ابن عباس رحمه الله : هي واجبة من الله ، وكذلك قوله تعالى : (عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ){التوبة : ١٠٢} وكلّ ما في القرآن من ذلك فهو واجب من الله عزَّ وجلَّ ، قال أبو عبيدة : ومنه قول ابن مُقبِل :

ظنّي بهم كعسى وهم بِتَنُوفَةٍ   يتنازعون جوائز الأمثال[2]

أي : ظنّي بهم كيقين ، قال أبو حاتم : ومما جاء في الشكّ في معنى لعلَّ قول الشاعر :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه   يكون وراءه فرج قريب)) [3]

فأبو الطيِّب ، وإن جعل عسى من الأضداد في كلام العرب ، لكنه لم يجعله من الأضداد في كلام الله ، وقال : (وعسى في القرآن واجبة...وكلّ ما في القرآن من ذلك فهو واجب من الله عزَّ وجلَّ)) يضاف إلى ما تقدم ذكره ما قاله الراغب : ((عسى : طمعَ وترجَّى ، وكثير من المفسرين فسَّروا (لعل) و(عسى) في القرآن باللازم ، وقالوا : إنَّ الطمع والرجاء لا يصحُّ من الله ،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٨٢

(٢) التنوفة : القفر من الأرض لا ماء بها ولا أنيس

(٣) الأضداد في كلام العرب ص ٣٠٧

وفي هذا منهم قصور نظر ؛ وذاك أنَّ الله تعالى : إذا ذكر ذلك يذكره ؛ ليكون الإنسان راجيًا لا أن يكون هو تعالى يرجو ، فقوله تعالى : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ){الأعراف : ١٢٩} أي : كونوا راجين في ذلك)) [١] ((وقال سيبويه : (عسى) و(لعلَّ) من الله إيجاب ، أي : لا يراد بهما الترجي ، ولا الإشفاق ؛ لأنَّ ذلك محال في حق الباري تعالى ، وأمَّا الحذاق غيره ، فقد قالوا : هما على بابهما ، ولكن ليس إلى الباري تعالى ، بل إلى الناس ، فقالوا في قوله تعالى : (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} أي : اذهبا إليه على الرجاء والطمع منكما في ذلك ، كما قيل في عجبتُ ، فيما قرأ بالضم في قوله تعالى : (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ){الصافات : ١٢}))[٢]

نخلص مما سبق ذكره أنَّ (عسى) ليست من الأضداد في القرآن الكريم ، بل هي لم تخرج عن بابها ودلالتها الأصلية في كل مواضع ورودها في كتاب الله .

٢٢-**عسعسَ** : قال أبو بكر : ((وعسعس : حرف من الأضداد ، يقال : عسعس الليل : إذا أدبر ، وعسعس : إذا أقبل...قال نافع بن الأزرق لعبد الله بن العباس : أرأيتَ قيلَ الله عزَّ وجلَّ : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ){التكوير : ١٧} ما معناه ؟ فقال : عسعس : أقبلت ظلمته...وقال أبو عبيدة : عسعس : أدبر وأقبل جميعًا))[٣] وقال أبو الطيِّب اللغوي : ((ومن الأضداد عسعس ، قال أبو عبيدة : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ، وعسعس الليلُ : إذا أدبر...وقال ابن عباس في قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ){التكوير : ١٧} قال : أدبر ،

---

(١) المفردات ص ٣٤٧-٣٤٨

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/٧٥

(٣) الأضداد ص ٣٠-٣١

وقال غيره : أظلم ، وقال آخرون : أقبل ، والله أعلم))[١] وقال الزجاج : (((وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يقال : عسعس الليلُ : إذا أقبل ، وعسعس الليل : إذا أدبر ، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد ، وهو ابتداء الظلام في أوله ، وإدباره في آخره))[٢] وقال الراغب : (((وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) أي : أقبل وأدبر ، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه ، فالعسعسة والعِساس رقة الظلام ، وذلك في طرفي الليل))[٣] لذلك ((قال بعضهم : إنَّه ليس من الأضداد ؛ لأنَّ بينهما قدرًا مشتركًا ، وإليه نحا الهروي وغيره ، وقال : والمعنيان يرجعان إلى معنى واحد ، وهو ابتداء الظلام في أوله ، وإدباره في آخره))[٤] و((عن ابن الأعرابي : العسعسة : ظلمة الليل كلّه))[٥] ((والعسَّاس : الخفيف من كلِّ شيء ، كالعسعس))[٦] وقال ابن عطية في تفسير الآية : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) ((وعسعس الليل في اللغة : إذا كان غير مستحكم الإظلام ، وقال الحسن بن الحسن ، وذلك في وقت إقباله ، وبه وقع القسم ، وقال زيد بن أسلم وابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : ذلك عند إدباره ، وبه وقع القسم...وقال المبرد أبو العباس : أقسم بإقباله وإدباره ، قال الخليل : يقال : عسعس الليلُ وسعسع : إذا أقبل وأدبر)) [٧] أي : ((أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معًا ، وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به ؛ لأنَّهما من مظاهر القدرة ؛ إذ يعقب الظلامُ الضياءَ

---

(١) الأضداد في كلام العرب ص ٣٠٨-٣٠٩

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٢٦

(٣) المفردات ص ٣٤٧

(٤) عمدة الحفاظ ٣/٧٢-٧٣

(٥) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٣/٢٤٣٤

(٦) تاج العروس للزبيدي ١٦/١٣٣

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٤٤٤

، ثم يعقب الضياءُ الظلامَ ، وهذا إيجاز)) [1] أي : بدلّا من أن يقول الله سبحانه : والليل إذا أدبر ، وإذا أقبل ، أوجز الكلام ، فقال : والليل إذا عسعس

وصفوة القول أنَّ (عسعس) ليس من الأضداد في القرآن الكريم ، لأنَّ قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) لا يعني : والليل إذا أقبل ، ولا يعني : والليل إذا أدبر ، وإنَّما يعني : والليل إذا رقَّتْ ظلمته ، وهذا يكون في أول الليل وآخره

٢٣-**عصم-العاصم** : قال أبو بكر : ((والعاصم من الأضداد ، يقال : الله عاصم لمن أطاعه ، ويقال رجل عاصم ، أي : معصوم ، إذا فُهِم المعنى ، قال الله تعالى : (قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ){هود : ٤٣} فمعناه : لا معصوم اليوم من الله إلّا المرحوم ، وتكون (مَن) في موضع نصب ورفع على الاستثناء المنقطع))[2]

قال الفرَّاء : ((ولكن لو جعلتَ العاصم في تأويل معصوم ، كأنَّك قلتَ : لا معصوم اليوم من أمر الله لجاز رفع (مَن) ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله تعالى : (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ){الطارق : ٦} فمعناه ، والله أعلم ، مدفوق ، وقوله تعالى : (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ){الحاقة : ٢١} معناها : مرضية ، وقال الشاعر (الحطيئة) :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها   واقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٦/٣٠

(٢) الأضداد ص٨٧ وينظر : الأضداد في كلام العرب ٣١٨-٣١٩

معناه : المكسو ، تستدلُّ على ذلك أنَّك تقول : رُضِيتْ هذه المعيشةُ ، ولا تقول : رَضيتْ هذه المعيشةُ ، ودُفِقَ الماءُ ، ولا تقول : دَفَقَ ، وتقول : كُسِيَ العريان ، ولا تقول : كسا)) [١]

وأنا لا أؤمن بالأضداد التي من بينها مجيء الفاعل بمعنى المفعول ، أو المفعول بمعنى الفاعل ، والشاعر لمَّا استعمل الفاعل وقال : الطاعم الكاسي ، فلا بدَّ أن يكون أراد منهما معنى الفاعل ، لا معنى المفعول ، ولا بدَّ أن يكونا : مِن طَعِمَ ، ومِن كَسا ، أو كَسِيَ ، (المبنية للمعلوم) وليسا من طُعِمَ وكُسِيَ ، (المبنية للمجهول) والفاعل كما فهمتُه من خلال دراستي للنحو وتدريسه ، وتعريف أهل اللغة ، وأهل النحو له أنَّ الفاعل هو ما قام بالفعل ، أو ما اتَّصف به ، فالأول ، نحو : فهم التلميذ الدرسَ ، فهو فاهم ، وعاد الطبيب المريض ، فهو عائد ، وزار زيد صديقه ، فهو زائر ، فما جاء على فاعل من هذه الأمثلة ونحوها يكون ممن قام بالفعل ، والثاني : نحو : سقط الجدارُ ، ومات الرجلُ ، وانكسر الزجاجُ ، فمما هو واضح ومعلوم أنَّ الجدار يُعرب فاعلًا في المثال : سَقطَ الجدارُ ، مع أنَّه لم يقم بفعل السقوط ، بل السقوط وقع عليه ، والرجل يعرَب فاعلًا في المثال : مات الرجلُ ، على الرغم من أنَّه لم يقم بفعل الموت ، بل هو ممن وقع الموت عليه ، وكذلك الزجاج يُعرَب فاعلًا في المثال : انكسر الزجاجُ ، وهو لم يقم بفعل الكسر ، بل الكسر وقع عليه ، فأعرب المرفوع في هذه الأمثلة فاعلًا ، ليس لأنَّه قام بالفعل ، بل لأنَّه اتصف به ، وكذلك كل ما جاء على فاعل نحو الأمثلة المذكورة ، كالطاعم والكاسي في بيت الحطيئة ، قال الخليل : ((ورجل طاعم : حسن الحال في المطعم ، قال من البسيط : فاقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي ، وطَعِمَ

---

(١) معاني القرآن ١/٣٣٤ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٤ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٤٥ والصحاح للجوهري ص ٩١١

يَطْعَمُ طَعامًا ، هذا قياسه))[1]((وقد طَعِمَ يَطْعَمُ طُعْمًا فهو طاعم : إذا أكل ، أو ذاق ، مثال : غَنِمَ يَغْنَمُ ، فهو غانم)) [2] وقال ابن سيده : ((ورجل طاعم : حسن الحال في المطعم على النسب ، قال الحطيئة :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها   واقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي

كما قالوا : نَهِمٌ)) [3] ((ورجل طاعم ، وطَعِمٌ ، على النسب ، كما قالوا : نَهِرٌ))[4] فقد جعلوا الطاعم في بيت الحطيئة على بابه يعنى معنى الفاعل ، لكن بمعنى الذي اتصف بالفعل ، لا بمعنى الذي قام بالفعل ، وكذلك جعلوا الكاسي بهذا المعنى ، قال الأزهري : ((ويقال : كَسِي فلان يَكسى ، فهو كاسٍ : إذا اكتسى...وقول الحطيئة :

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها   واقعد فأنت لعمري الطاعم الكاسي

أي : المكتسي))[5] وقال الهروي بعد أن نقل قول الفرَّاء : ((وقال الخليل : معنى : عيشة راضية ، وطاعم كاسٍ ، أي : ذات رضا ، وذو طعام ، وكُسوة))[6] وقال ابن سيده : ((وكَسِيَ : لبس الكُسْوة...واكتسى كـ(كَسِيَ) ورجل كاسٍ : ذو كُسْوة ، حمله سيبويه على النسب ، وجعله كـ(طاعم)))[7] وجاء في اللسان : ((وقيل : كَسِيَ : إذا لبس الكُسْوة...واكتسى كـ(كَسِيَ) وكساه إيّاها

---

(١) العين ص ٥٦٩

(٢) الصحاح للجوهري ص ٦٤١ وينظر : تاج العروس للزبيدي ١٠/٣٣

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٥٥٨/١

(٤) لسان العرب ١٢٠/٩

(٥) تهذيب اللغة٣١٤٠/٤

(٦) الأزهية في علم الحروف ص ١٨٤-١٨٥

(٧) المحكم ١٢٢-١٢٣ وينظر : لسان العرب ٦٩/١٣ وتاج العروس ١٩٩/٣٩

كَسْوًا)) [١] وجَعْلُ أهل اللغة الطاعم والكاسي ، في قول الحطيئة : أنتَ الطاعم الكاسي ، بمعنى : ذو طعام ، وذو كُسوة ، وجعل (رَاضِيَةٍ) في قوله تعالى : (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) بمعنى : ذات رضا ، جاء مِن جعل ما كان على فاعل في هذه الشواهد بمعنى الفاعل الذي اتصف بالفعل ، لا بمعنى الذي قام بالفعل ، وبيت الحطيئة المذكور هو في هجاء الزِبْرِقان بن بدر الذي كان سيِّدًا في قومه ، فهو إذن ليس من الفقراء ، أو الشحاذين ، فليس من المعقول أن يعيّره الحطيئة بأنّ الناس تتصدّق عليه ، بل عيَّره بالترف ، فيكون قول الشاعر : واقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي ، ليس معناه : واقعد فإنَّك أنت المُطعَم والمكسو ، أو الذي يطعمك الناس ويكسونك ، بل المعنى : واقعد فإنَّك أنت الذي تُعنَى بطعامك ، وشرابك ، ولباسك ، وشُغِلْتَ بذلك عن طلب المعالي والمكارم ، وهذا شبيه بقول الشاعر :

إنَّ الشجاعةَ أن تموت من الظما ليس الشجاعةُ أن تَعُبَّ الماءَ

وكذلك جعلوا (دَافِقٍ) في قوله تعالى : (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) قال الخليل : ((دَفَقَ الماءُ دفوقًا ، ودَفْقًا : إذا انصبَّ بمرَّةٍ...واندفق الكوز : انصبَّ بمرَّةٍ ، ودَفَقَ ماؤُه)) [٢] وقال ابن فارس : ((الدال ، والفاء ، والقاف أصل واحد مطَّرد قياسه ، وهو دفع الشيء قُدُمًا ، من ذلك : دَفَقَ الماءُ ، وهو ماء دافق...ودَفَقَ اللهُ روحَه : إذا دُعي عليه بالموت))[٣] وجاء في اللسان : ((دَفَقَ الماءُ والدمعُ يَدْفِقُ ، ويَدْفُقُ ودفوقًا ، واندفق ، وتدفَّق ، واستدفق : انصبَّ بمرَةٍ...وقد دَفَقَه ، يدْفِقُه ، ويدْفُقُه دَفْقًا)) [٤] فالدافق من الفعل (دَفَقَ) المبني

---

(١) لسان العرب ٦٩/١٣

(٢) العين ص ٢٩٧

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٩٥

(٤) لسان العرب ٢٧٦/٥

للمعلوم ، لا من الفعل (دُفِقَ) المبني للمجهول ، كما قال الفرَّاء ، فهو بمعنى الفاعل ، لا بمعنى المفعول ، وقال الزجاج : (((مِن مَّاء دَافِقٍ) ومذهب سيبويه وأصحابه أنَّ معناه النسب إلى الاندفاق ، المعنى : من ماء ذي اندفاق)) [١] وهذا يعني أنَّه صرَّح بجعل الدافق في الآية بمعنى الفاعل الذي اتصف بالفعل ، نحو نجح الطالب ، وفاض النهر ، وقال الأزهري : ((وقال الزجاج : (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) معناه : مِن ماء ذي دِفْقٍ ، وهو مذهب سيبويه والخليل ، وكذلك سِرٌّ كاتم : ذو كتمان ، وقال أبو الهيثم نحوًا منه ، وقال الليث : دَفَقَ الماءُ دُفوقًا ودُفْقًا : إذا انصبَّ بمرَّةٍ ، واندفق الكوزُ : إذا دَفَقَ ماؤُه ، قلتُ : الدَّفْقُ في كلام العرب : صَبُّ الماءِ ، وهو مجاوز (فعل متعدٍّ) يقال : دفقْتُ الكوزَ فاندفق ، وهو مدفوق ، ولم أسمع : دفقتُ الماءَ فَدَفَقَ ، لغير الليث ، وأحسبه ذهب إلى قول الله تعالى : (مِن مَّاء دَافِقٍ){الطارق : ٦} وهذا جائز في النعوت)) [٢] وقال : قال الليث ؛ لأنّ الأزهري يعتقد أنَّ العين من تأليف الليث بن المظفر لا من تأليف الخليل ، وإذا كان الخليل ، كما قال الأزهري ، قد ذهب فيما قاله إلى قول الله ، فنعم ما ذهب إليه ، أليس كتاب الله أحقَّ أن يُتَّبَع ؟ أو ليس كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا في لغته وتعابيره ، ولا في أحكامه ومعانيه ؟ وتعقيب الأزهري المذكور على الخليل يدلُّ على أنَّه أقرَّ على أنَّ المراد من (دَافِقٍ) في قوله تعالى : (مِن مَّاء دَافِقٍ) معنى الفاعل لا معنى المفعول ، وأنَّه مِن : دَفَقَ الماءُ ، لا مِن : دُفِقَ الماءُ ، والقرآن الكريم يُعدُّ مصدرًا أساسيًّا من مصادر اللغة ، بل هو في مجال اللغة مقدَّم على كلام العرب ، فإذا صحَّ ما قاله الأزهري بمجيء فعل الدَّفْق متعديًا في كلام العرب ، واستعماله لازمًا في كلام الله ، فيجب في الأقلِّ أن نجمع بين

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٢٩/٥

(٢) تهذيب اللغة ١٢٠٦/٢

ما جاء في اللغة ، وما جاء في القرآن الكريم ، فنقول بجواز استعماله متعديًا مبنيًّا للمعلوم ، نحو : دفقتُ الماءَ ، ومبنيًّا للمجهول ، نحو : دُفِقَ الماءُ ، ولازما ، نحو : دَفَقَ الماءُ ، وما وقع على الماء في هذه التراكيب الثلاثة واحد ، وهو صبُّه ، لكن علاقته بفاعله ليست واحدة ، بل تختلف بين تركيب وتركيب ، ففي التركيب الأول : دفقْتُ الماءَ ، أفاد دفوق الماء بفاعل خارجي معلوم ، وهو ضمير المتكلم ، وهذا هو حال المفعول به ، وفي التركيب الثاني : دُفِقَ الماءُ ، أفاد دفوق الماء بفاعل خارجي غير معلوم ؛ لذلك بُنِيَ الفعل للمجهول ، وناب عن الفاعل المفعول وأخذ مكانه في الإعراب لا في الدلالة ، وفي التركيب الثالث : دَفَقَ الماءُ ، أفاد دفوق الماء بعامل داخلي ذاتي ، وهذا هو الفاعل الذي يشمل القسم الثاني من تعريفنا له بأنَّه ما اتصف بالفعل ، فتقول : دَفَقَ الماءُ ، فهو دافق ، كما تقول : سقط الجدارُ فهو ساقط ، وفاض النهرُ ، فهو فائض ، ومشى الصبيُّ ، فهو ماشٍ ، وطار الطيرُ فهو طائر ، وهرب اللصُّ فهو هارب

وقد جعل الفرّاء وغيره العاصم في قوله : (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ) بمعنى المعصوم والصحيح أنَّ عاصم على بابه ، قال الطبري : ((قوله تعالى : (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) يقول : لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلّا مَن رحمنا فأنقذنا منه ، فإنَّه الذي يمنع مَن شاء من خلقه ويعصم ، فـ(مَن) في موضع رفع ؛ لأنَّ معنى الكلام : لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلّا اللهُ)) [1] وقال الزمخشري : ((وذلك أنَّه لمَّا جعل الجبل عاصمًا من الماء قال له : لا يعصمك اليوم معتصم قطّ من جبل ونحوه

---

(١) جامع البيان ٥٥/١٢ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٧٤/٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢/٩

سوى معتصم واحد ، وهو مكان مَن رحمهم الله ونجّاهم ، يعني السفينة))[١]
وقال النحاس : ((ومِن أحسن ما قيل فيه أن يكون (مَن) في موضع رفع ، والمعنى : لا يعصم اليوم من أمر الله إلّا الراحمُ ، أي : إلّا اللهُ جلَّ وعزَّ ، ويحسن هذا ؛ لأنَّك لم تجعل عاصمًا بمعنى معصوم فتخرجه من بابه))[٢]
وقال أبو حيان الأندلسي : ((قيل : والجبل الذي عناه طور زيتا فلم يمنعه ، والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته ، وأنَّه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت))[٣] فهو ((نفي لجنس العاصم المنتظم لنفي جميع أفراده ذاتًا وصفة للمبالغة في نفي كون الجبل عاصمًا)) [٤] فالصحيح إبقاء عاصم على بابه ، وأنَّ المراد معنى الفاعل لا معنى المفعول وهذا هو الذي يدلُّ عليه ظاهر اللفظ والظاهر من سياق الآية ، حتى إنَّ الراغب الأصفهاني أكَّد أنَّ هذا هو المعنى الذي عناه الفريقان فقال : ((قال تعالى : (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) أي : لا شيء يعصم منه ، ومن قال : معناه لا معصوم فليس يعني أنَّ العاصم بمعنى المعصوم ، وإنَّما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أنَّ العاصم والمعصوم يتلازمان ، فأيّهما حصل حصل معه الآخر)) [٥]
٢٤-**فكه-متفكَّه** : قال أبو بكر : ((وقال بعض أهل اللغة أيضًا : المتفكِّه من الأضداد ، يقال : رجل متفكِّه ، إذا كان متنعِّمًا مسرورًا ، ورجل متفكِّه : إذا كان حزينًا متندِّمًا ، قال الله تعالى : (لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا

---

(١) الكشاف ٣٨٢/٢ وينظر :المحرر الوجيز لابن عطية١٧٤/٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٨٥/٤ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٣٦/٣ ومدارك التنزيل ص ٤٩٨

(٢) إعراب القرآن ص ٤١٩

(٣) البحر المحيط ٢٩٦/٥

(٤) روح المعاني للآلوسي ٢٥٨/٦

(٥) المفردات ص ٣٤٩

فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ){الواقعة : ٦٥} فمعناه تندَّمون ، وعُكْل تقول : تفكَّنون بالنون ، ويقال معنى قوله جلَّ وعزَّ (تَفَكَّهُونَ) تعجبون مما وقع بكم في زرعكم ، يقال : قد فكه الرجل يفكه : إذا عجب ، أنشد اللحياني أبو الحسن :

ولقد فكِهتُ من الذين تقاتلوا   يوم الخميس بلا سلاح ظاهر

أراد : عجبتُ ، ويقال : رجل فكِه : إذا كان يأكل الفاكهة ، وفاكه : إذا كثرت عنده الفاكهة...ويقال : رجل فكِهٌ وفاكهٌ : إذا كان معجبًا بالشيء ، قال الله عزَّ وجلَّ : (فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ){الطور : ١٨}))[١]

فأبو بكر بعد أن نسب إلى بعض أهل اللغة أنَّ المتفكّه من الأضداد ، وأنَّ (تَفَكَّهُونَ) بمعنى تندَّمون ، عاد فنقل قول من جعل (تَفَكَّهُونَ) بمعنى تعجبون ، و(فَاكِهِينَ) بمعنى معجبين ، ولا أضداد ، وقال أبو الطيَّب : ((ومن الأضداد التفكّه ، يقال : القوم يتفكَّهون تفكّهًا ، أي : يتندَّمون ، والقوم يتفكَّهون تفكَّهًا يتلذذون ، وقال أبو حاتم : هم يتفكَّهون (يتفعَّلون) وهو الضحك والمزاح...وقال التَّوَّزي : يتفكَّهون أيضًا يأكلون الفاكهة ، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى عز وجل : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) أي : تندَّمون ، وقال أبو عمرو الشيباني : كان أبو جرَّاح العُكْليّ يقرأ (فَظَلْتُمْ تَفَكَّنونَ) أي : تندَّمون ، وكان يقول : تفكَّهون ، إنَّما هو الفاكهة)) [٢]

وقال ابن فارس في باب فكَنَ : ((الفاء والكاف والنون كلمة واحدة ، وهي التندُّم ، يقال : تندَّم وتفكَّن بمعنىً))[٣] وقال في باب فكه : ((الفاء والكاف والهاء أصل صحيح يدلُّ على طيب واستطابة...فأمَّا التفكُّه في قوله تعالى : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) فليس من هذا ، وهو من باب الإبدال ، والأصل : تفكَّنون ،

---

(١) الأضداد ص٥٠-٥١

(٢) الأضداد في كلام العرب ص ٣٤٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٧١٨

وهو من التندُّم ، وقد مضى ذكره)) [1] والله سبحانه قال : (تَفَكَّهُونَ) ولم يقل : تفكَّنون ، فأراد معنى ما قال ، وهو تعجبون ، والصحيح أنَّ (تَفَكَّهُونَ) و(فَاكِهِينَ) بمعنى واحد ، ولا أضداد ، قال الخليل في باب فكه : ((وتفكَّهنا من كذا ، أي : تعجَّبنا ، ومنه قوله تعالى : ((فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) أي : تعجبون ، وقوله عزَّ وجلَّ : (فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) أي : ناعمين مُعجبين بما هم فيه))[2] وقال في باب فكن : ((التفكُّن : التلهُّف على حاجة أنَّه يظفر بها ففاتته)) [3]

قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)((يعني : تعجبون))[4] وقال الفرَّاء : ((وقوله : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم ، ويقال : معنى تفكَّهون : تندَّمون))[5] وقال ابن قتيبة : (((فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم إذا صار حطامًا ، ويقال (تَفَكَّهُونَ) تندَّمون مثل تفكَّنون ، وهي لغة لعُكْلٍ)) [6] وقال الطبري : ((وقوله تعالى : (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فظلتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه...وقال آخرون : معنى ذلك : فظلتم متلاومون بينكم في تفريطكم في طاعة الله ربكم جل ثناؤه ، حتى نالكم بما نالكم من هلاك زرعكم...وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تندَّمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجب لكم

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧١٨

(٢) العين ص ٧٥١

(٣) العين ص ٧٥١

(٤) تفسير مقاتل ص ٣١٦/٣

(٥) معاني القرآن ٣٥/٣

(٦) تفسير غريب القرآن ص ٤٥٠

عقوبته ، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم...وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تعجبون...وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم ، وأصله من التفكُّه بالحديث إذا حدَّث الرجلُ الرَّجلَ بالحديث يعجب منه ، ويلهى به ، فكذلك ذلك ، وكأنَّ معنى الكلام : فأقمتم تتعجبون يُعجب بعضُكم بعضًا مما نزل بكم))(١)

وهذا هو الصواب أنَّ (تَفَكَّهُونَ) بمعنى تعجبون و(فَاكِهِينَ) بمعنى معجبين(٢) فالمعنى واحد ؛ لأنَّ الإنسان يعجب من نعمة كبيرة إذا فوجئ بزوالها عنه ، أو يفاجأ بمجيئها إليه ، أمَّا الندم فهو ما يصاحب العجب الأول ، كما يصاحب السرور العجب الثاني ، فأصل المعنى واحد ولا أضداد

٢٥-**فوق** : قال أبو بكر : ((وفوق حرف من الأضداد ، يكون بمعنى أعظم...ويكون فوق بمعنى دون ، كقولك : إنَّ فلانًا لقصير ، وفوق القصير ، وإنَّه لأحمق وفوق الأحمق...ومن هذا المعنى قول الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا){البقرة : ٢٦} يقال : معنى (فَمَا فَوْقَهَا) فما دونها ، ويقال : معناه : فما هو أعظم منها))(٣)

قال ابن فارس : ((الفاء والواو والقاف أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على عُلُوّ ، والآخر على أوبة ورجوع ، فالأول : الفوق : وهو العُلُو...وأمَّا الآخر فَفُواق الناقة ، وهو رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب))(٤) فدلالة فوق هي العُلُو وضد تحت ، وهي باقية على بابها أينما وردت في كتاب الله ، وهي كذلك في قوله تعالى : (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) وإن جعلها بعض

---

(١) جامع البيان ٢٧/٢٣٢-٢٣٣

(٢) ينظر : الأضداد لأبي بكر ص ٥١ والوسيط للواحدي ٤/١٨٦

(٣) الأضداد ص ١٥٧ وينظر : الأضداد في كلام العرب ص ٣٣٧

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٢٣

المفسرين بمعنى دون ، قال الفراء في تفسير هذه الآية : ((يقول القائل : إنّ فلانًا لشريف ، فيقول السامع : وفوق ذاك ، يريد المدح ، أو يقول : إنَّه لبخيل ، فيقول الآخر : وفوق ذاك ، يريد بكليهما معنى أكبر))[١] وقال الأخفش : ((وقوله تعالى : (فَمَا فَوْقَهَا) قال بعضهم : أعظم منها ، وقال بعضهم : كما تقول : فلان صغير ، وفوق ذلك ، يريد : وأصغر من ذلك))[٢] أي : وأشد صغرًا ، وقال الزجاج : ((وقالوا في معنى قوله تعالى : (فَمَا فَوْقَهَا) قالوا في ذلك قولين : قالوا فما فوقها : أكبر منها ، وقالوا : فما فوقها في الصغر))[٣] أي : ليس المعنى : فما دونها في الصغر ، بل المعنى : ما فوقها في الصغر ، وقال الراغب : ((قيل : أشار بقوله : (فَمَا فَوْقَهَا){البقرة : ٢٦} إلى العنكبوت ، وقيل معناه : ما فوقها في الصغر ، ومن قال : أراد ما دونها فإنَّما قصد هذا المعنى ، وتصوَّر بعض أهل اللغة أنَّ فوق يستعمل بمعنى دون ، فأخرج ذلك في جملة ما صنَّفه من الأضداد)) [٤] وقال ابن عاشور : وفوق في قوله تعالى : (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) ((صالح للمعنيين ، أي : ما هو أشدّ من البعوضة في الحقارة ، وما هو أكبر حجمًا))[٥] فـ(فوق) ليست من الأضداد وهي باقية على معناها أينما وردت في كتاب الله

٢٦–**القرْء** : قال أبو بكر : ((والقُرْء حرف من الأضداد ، يقال : القُرْء للطهر ، وهو مذهب أهل الحجاز ، والقُرْء للحيض ، وهو مذهب أهل العراق ، ويقال في جمعه أقراء وقروء ، وقال الأصمعي ، وأبو عبيدة ، يقال : قد أقرأت

---

(١) معاني القرآن ٢٦/١

(٢) معاني القرآن ص٤٩

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٩٨/١

(٤) المفردات ص ٤٠٤

(٥) التحرير والتنوير ٣٥٧/١

المرأة : إذا دنا حيضها ، وأقرأت : إذا دنا طهرها ، قال أبو بكر ، هذه رواية أبي عبيدة ، وروى غيره : أقرأتْ : إذا حاضت ، وأقرأتْ : إذا طهرت ، وحكى بعضهم : قرأت ، بغير ألف في المعنيين جميعًا ، والصحيح عندي ما رواه أبو عبيدة))[1] ((وقال قطرب : قرأتِ المرأة : إذا حاضت ، وقرأتْ : إذا طهرت ، قال : وهو من قول الله عزَّ وجلَّ : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ){البقرة : ٢٢٨} والواحدة : قُرْءٌ)) [2]

قال ابن فارس: ((القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدلُّ على جمع واجتماع ، من ذلك القرية ، سُمِّيت قرية لاجتماع الناس فيها ، ويقولون : قريتُ الماء في المقراة : جمعته ، وذلك الماء المجموع قَريٌّ...ومن الباب : القَرَى : الظهرُ ، وسُمِّي قَرَى لِما اجتمع فيه من العظام...وإذا هُمِز هذا الباب كان هو والأول سواء ، قالوا ، ومنه القرآن ، كأنَّه سُمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص ، وغير ذلك ، فأمَّا قرأتِ المرأة ، فيقال : إنَّها من هذا أيضًا ، وذكروا أنَّها تكون كذا في حال طهرها ، كأنَّها قد جمعت دمها في جوفها فلم تُرْخه ، وناس يقولون : إنَّما إقراؤها : خروجها من طهر إلى حيض ، أو حيض إلى طهر ، قالوا : والقُرْء : وقت يكون للطهر مرة ، وللحيض مرة))[3]

وقال الراغب : ((والقُرْء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر ، ولمَّا كان اسمًا جامعًا للأمرين الطهر والحيض المتعقِّب له أُطلِق على كلِّ واحد منهما إذا انفرد ، كالمائدة للخِوان والطعام ، ثمَ قد يُسمَّى كلُّ واحد منهما بانفراده ، وليس القُرْء اسمًا للطهر مجرَّدًا ، ولا للحيض مجرَّدًا ؛ بدلالة أنَّ الطاهر التي لم تر أثر الدم ، لا يقال لها ذات قُرْء ، وكذا الحائض التي استمرَّ

---

(١) الأضداد ص ٢٨-٢٩

(٢) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب ص ٣٥٩

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٧٠-٧٧١

بها الدم والنفساء ، وقوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ){البقرة : ٢٢٨} أي : ثلاثة دخول من الطهر في الحيض))[١]

و((قال الشافعي رضي الله عنه : القرء : اسم للوقت ، فلمّا كان الحيض يجيء لوقت ، والطهر يجيء لوقت جاز أن تكون الأقراء حِيَضًا وأطهارًا ، ودلَّت سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنَّ الله عزَّ وجلَّ أراد بقوله : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ) الأطهار ؛ وذلك أنَّ ابن عمر لمَّا طلَّق امرأته ، وهي حائض ، واستفتى عمر رضي الله عنه النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، فيما فعل ، قال : مُرْه فلْيراجعْها ، فإذا طهرتْ فلْيُطلِّقْها ، فتلك العدة التي أمر الله أن يُطلَّق لها النساء))[٢]

والصحيح أنَّ القرء لا يعني الطهر وحده ، كما ذهب أهل الحجاز ، ولا يعني الحيض وحده ، كما ذهب أهل العراق ، بل يعني الجمع بينهما ، وهذا هو معنى القُرْء في اللغة ، أنَّه يعني الجمع والاجتماع ، وهذه حقيقة أكَّدها الراغب بقوله المذكور : ((والقُرْء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر...وليس القُرْء اسمًا للطهر مجرَّدًا ، ولا للحيض مجرَّدًا ؛ بدلالة أنَّ الطاهر التي لم تر أثر الدم ، لا يقال لها ذات قُرْء ، وكذا الحائض التي استمرَّ بها الدم والنفساء ، وقوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ){البقرة : ٢٢٨} أي : ثلاثة دخول من الطهر في الحيض))[٣]

وقد أحسن الطبري ما قاله في حقيقة القرء ، ولو أنَّ أهل اللغة ، وأهل التفسير بعده نقلوا ووعوا ما قاله ، لمَّا ترددوا في إنكار مذهب الأضداد في القرء ، فقد قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ

---

(١) المفردات ص ٤١٨

(٢) تاج العروس ٢٥٢/١

(٣) المفردات ص ٤١٨

ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ) ((يقال : أقرأتِ المرأة : إذا صارت ذات حيض وطهر ، وأصل القرء في كلام العرب : الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم ؛ ولذلك قالت العرب : أقرأت حاجة فلان عندي ، بمعنى دنا قضاؤها ، وجاء وقت قضائها ، وأقرأ النجم : إذا جاء وقت أفوله ، وأقرأ : إذا جاء وقت طلوعه...وقيل : أقرأتِ الريح : إذا هبَّت لوقتها ؛ ولذلك سمَّى بعض العرب وقت مجيء الحيض قرءًا : إذا كان دمًا يعتاد ظهوره من فرج المرأة في وقت ، وكمونه في آخر ، فسمِّي وقت مجيئه قرءًا ، كما سمَّى الذين سمَّوا وقت مجيء الريح لوقتها قرءًا ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حبيش : دعي الصلاة أيَّام أقرائك ، بمعنى دعي الصلاة أيام إقبال حيضك ، وسمَّى آخرون من العرب وقت مجيء الطهر قرءًا ؛ إذ كان وقت مجيئه وقتًا لإدبار الدم دم الحيض ، وإقبال الطهر المعتاد مجيئه لوقت معلوم...ولِما وصفنا من معنى القرء أشكل تأويل قول الله : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ) على أهل التأويل ، فرأى بعضهم أنَّ الذي أمرت به المرأة المطلقة ذات الأقراء أقراء الحيض ، وذلك وقت مجيئه لعادته التي تجيء فيه ، فأوجب عليها ثلاث حِيَض بنفسها من خطبة الأزواج ، ورأى آخرون أنَّ الذي أمرت به من ذلك إنَّما هو أقراء الطهر ؛ وذلك وقت مجيئه لعادته التي تجيء فيه ، فأوجب عليها تربص ثلاث أطهار...فقد تبيَّن إذن إذ كان الأمر على ما وصفنا أنَّ القرء الثالث من أقرائها على ما بيَّنَّا الطهر الثالث ، وأنَّ بانقضائه ومجي قرء الحيض الذي يتلوه انقضاء عدتها))(١)

وقد تقدم أنَّ القول بجعل القرء من الأضداد مبنيٌّ على جعل القرء يعني الطهر وحده ، أو يعني الحيض وحده ، وقد أنكر الطبري هذا ونقضه ، حتى وصف القائلين بالأضداد بالغباء ، فقال : ((فإن ظنَّ ذو غباوة إذ كنَّا قد

---

(١) جامع البيان ٢/٥٣٣-٥٣٤

نسمي وقت مجيء الطهر قرءًا ، ووقت مجيء الحيض قرءًا ، أنَّه يلزمنا أن نجعل عدة المرأة منقضية بانقضاء الطهر الثاني ، إذ كان الطهر الذي طلقها فيه))[١] فالقرء إذن لا يعني الحيض وحده ، ولا يعني الطهر وحده ، وإنَّما يعني الجمع بينهما ، وقد جعل الشرع القرء يبدأ بالطهر ، وينتهي بالحيض ، وقد تقدم ما جاء في الأضداد لأبي بكر ، والأضداد في كلام العرب لأبي الطيب : ((أقرأت : إذا حاضت ، وأقرأت : إذا طهرت))[٢] ((وقال قطرب : قرأت المرأة : إذا حاضت ، وقرأت : إذا طهرت)) [٣] فجَعْلُ قول العرب : أقرأت المرأة ، بمعنى : حاضت ، يكون عند جعل القرء يبدأ بالطهر وينتهي بالحيض ، وجعْلُه بمعنى : طهرتْ ، يكون عند جعل القرء يبدأ بالحيض ، وينتهي بالطهر ، والمعنى الأول هو القول الصحيح وهو المراد في الشرع ، والقرآن الكريم ، ويجب أن يكون هو المراد في اللغة ، والمعنى الثاني إنَّ صحَّ القول به عن بعض العرب ، فهو وهم وغلط صدر من قائله ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حبيش كما جاء في تفسير الطبري : دعي الصلاة أيَّام أقرائك ، بمعنى دعي الصلاة أيام إقبال حيضك ، هو من قبيل جعل القرء يبدأ بالطهر وينتهي بالحيض .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ القرء غير مختص بالحيض والطهر ، فهو لم يكن في الأصل اسمًا لهما ، بل هو اسم لوقت مجيئهما ، فهو لفظ عام يعني الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم كما قال الطبري ؛ لذلك جاز استعماله في غير المرأة ، نحو المثال المذكور : ((أقرأ النجم : إذا جاء وقت أفوله ، وأقرأ : إذا جاء

---

(١) جامع البيان ٢/٥٣٤

(٢) الأضداد ص ٢٨-٢٩

(٣) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيِّب ص ٣٥٩

وقت طلوعه)) وكذلك في هذا المثال يكون المراد من : أقرأ النجم ، معنى : أفل ، لا معنى : طلع ، وكذلك لو قيل : أقرأت الشمسُ ، يكون المعنى : غربتْ ، وليس : أشرقت ؛ لأنَّ المعتاد من أمور الدنيا أنَّها تبدأ بالبروز والظهور والحياة ، وتنتهي بالاختفاء والاضمحلال والفناء

فقد أصبح من الواضح أنَّ المراد من القرء الجمع بين طهر وحيض ، وهذا موافق لدلالة القرء أنَّه يعني الجمع ، فالقرء لا يعني الطهر وحده ، أو الحيض وحده ، بل الجمع بينهما ، فالقرء هو طهر يعقبه حيض ، وفي الشرع أنَّ المرأة إذا أراد زوجها أن يطلقها ، يطلقها في طهر ، فلا يُسمَّى هذا الطهر قُرءًا حتى تحيض ، فهذا هو القرء الأول ، فإذا طهرتْ فلا يُسمَّى قرءًا حتى تحيض ، وهذا هو القرء الثاني ، فإذا طهرتْ فلا يُسمَّى قرءًا حتى تحيض ، وهذا هو القرء الثالث ، فالقروء الثلاثة تبدأ بالطهر الأول ، وتنتهي بانقضاء الحيض الثالث ، وهذا هو أيضًا حال من طلَّق زوجته في حيض فإنَّه لا يُعتدُّ بالحيض الذي طُلِّقت فيه ، بل تبدأ العدة بالطهر الذي يتلوه .

فصفوة القول أنَّ القرء ليس من الأضداد ، بل لم يرد إلّا بمعنى واحد ، وهو المعنى الذي تقدم تفصيله .

٢٧-**القسط** : قال أبو بكر : ((وقسط حرف من الأضداد ، قال الله عز وجل : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا){الجن : ١٥} أراد الجائرون...ويقال : أقسط الرجل ، بالألف إذا عدل لا غير ، قال الله عز وجل : (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){المائدة : ٤٢}))[١]

قال ابن فارس : ((القاف والسين والطاء أصل صحيح يدلَّ على معنيين متضادين ، والبناء واحد ، فالقِسط بكسر القاف : العدل ، ويقال منه : أقسط يُقسِطُ ، قال الله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){المائدة : ٤٢} والقَسط

---

(١) الأضداد ص٤٦ وينظر : الأضداد في كلام العرب ٣٧١

بفتح القاف : الجَور...يقال : قَسَط : إذا جار ، يَقسِط قَسطًا...ومن الباب الأول : القِسط : النصيب ، وتقسَّطنا الشيءَ بيننا ، والقِسطاس : الميزان))[١]
وقال الراغب : ((القِسط : هو النصيب بالعدل ، كالنَّصف ، والنَّصفة قال تعالى : (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ){الرحمن : ٩} والقِسط هو أن يأخذ قِسط غيره ، وذلك جَور ، والإقساط أن يعطي قِسط غيره ، وذلك إنصاف ، ولذلك قيل : قَسَط الرجلُ : إذا جار ، وأقسط : إذا عدل ، قال الله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا){الجن : ١٥} وقال تعالى : (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){الحجرات : ٩}))[٢]

تقدم قول ابن فارس : ((فالقِسط بكسر القاف : العدل ، ويقال منه : أقسط يُقسِطُ...والقَسط بفتح القاف : الجَور...يقال : قَسَط : إذا جار ، يَقسِط قَسطًا...ومن الباب الأول : القِسط : النصيب)) وليس من التضاد إذا كان المتضادان يرجعان إلى صيغتين مختلفتين بالحركة ، والقرآن الكريم استعمل القِسط بكسر القاف ، ولم يستعمل القَسط بفتح القاف ، واستعمل الفعل الرباعي (أقسط) واسم فاعله بمعنى العدل ، واستعمل اسم الفاعل من الفعل الثلاثي بمعنى الظلم ، وليس من التضاد أيضًا إذا كان المتضادان يرجعان إلى صيغتين مختلفتين ، وكثيرًا ما اختلفت في القرآن الكريم المعاني لاختلاف الصيغة ، فقد استعمل مثلًا البِرّ بكسر الباء بمعنى الإحسان في عدة مواضع كقوله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ){البقرة : ٤٤} واستعمل البَرّ بفتح الباء بمعنى الأرض اليابسة ، أي : ما كان خلاف البحر في عدة مواضع كقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا){المائدة :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٧٤

(٢) المفردات ص ٤٢٠

٩٦} واستعمل الخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى المخلوق في عدة مواضع كقوله تعالى : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){الأعراف : ٥٤} واستعمل الخُلُق بضم الخاء واللام بمعنى السجايا والفضائل ، أي : بمعنى الأخلاق في عدة مواضع كقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ){القلم : ٤} ونحو هذا كثير في لغة العرب ولغة القرآن الكريم ، والقرآن الكريم لم يستعمل صيغة بمعنى صيغة أخرى ، فجعْلُ صيغة بمعنى صيغة أخرى تحريف لدلالتها ، كما أنَّه يعني توحيد معانيها ، أي : إلغاءها ذلك بالاكتفاء بصيغة واحدة ، وبخلط معاني بعضها ببعض ، وفي ذلك هدم كبير للغة القرآن الكريم ، يضاف إلى ما تقدم ذكره أنَّه ((يقال : أقسط يُقسِط ، فهو مُقسط : إذا عدل ، وقَسَط يَقسط فهو قاسط : إذا جار ، فكأنَّ الهمزة في أقسط للسلب ، كما يقال : شكا إليه فأشكاه)) [١] فقد أدخل العرب الهمزة على أصل الفعل الثلاثي لأغراض عدة ، منها الهمزة تزاد للتعدية ، أي : جعل الفعل اللازم متعديًا ، نحو : خرج زيدٌ ، وأخرجتُ زيدًا ، أو تزاد لجعل الشيء على صفة معينة ، نحو : أبخلتُ زيدًا ، أي : وجدته بخيلًا ، أو للدخول في الزمان ، نحو : أصبح زيدٌ ، أي : دخل في الصباح ، أو للدخول في المكان ، أبحر فلان ، أي : دخل في البحر ، ومنها التي تدخل على الفعل فتنقل معناه إلى ضده ، نحو : أشكيتُ زيدًا ، أي : أزلتُ شكايته ، وأعجمتُ الكتابَ ، أزلتُ عجمته ، وسماها أهل اللغة بهمزة السلب ،لأنَّها تدخل على الفعل فتسلب منه معناه ، نحو قسط زيد : إذا ظلم ، وأقسط : إذا عدل

٢٨-**لا** : قال أبو بكر : ((و(لا) حرف من الأضداد ، تكون بمعنى الجحد ، وهو الأشهر فيها ، وتكون بمعنى الإثبات ، وهو المستغرب عند عوام الناس ، فكونها بمعنى الجحد لا يُحتاج فيه إلى شاهد ، وكونها بمعنى الإثبات

---

(١) لسان العرب ١٢/١٠٠

شاهده قول الله عز وجل : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ){الأنبياء : ٩٥} معناه : أنَّهم يرجعون ، وكذلك قوله عز وجل : (مَا مَنَعَكَ أَلّا تَسْجُدَ){الأعراف : ١٢} معناه : أن تسجد ، ومثله قوله تعالى : (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ){الأنعام : ١٠٩}...وقال الفراء أيضًا في قوله : (مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ) المنع يرجع إلى معنى القول ، والتأويل : مَن قال لك : لا تسجد ، فـ(لا) جحد محض...وكذلك تأويل الآيتين الأخريين : (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ){الأنبياء : ٩٥}(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ){الأنعام : ١٠٩}))[١]

فأبو بكر بعد أن ذكر أنَّ (لا) من الأضداد ، وأنَّها جاءت بمعنى الإثبات في الشواهد المذكورة ، نقل قول الفراء الذي أثبت مجيئها على بابها نافية في الشواهد نفسها ، وقد كان أحد البحوث التي تضمنها كتابي من مزاعم النحاة بحثًا بعنوان : (لا) الزائدة في القرآن الكريم/دراسة نحوية ، وكان مما قلته في مقدمة هذا البحث : ((يثبت النحاة والمفسرون مجيء (لا) زائدة في القرآن الكريم ، لا تفيد النفي ولا توكيده ، ويتناول البحث (لا) هذه بالدراسة ويثبت أنها جاءت على بابها نافية وأنه ليس ثمة (لا) زائدة في كتاب الله))

ومما قلته في خاتمته ((يُستنتج من هذا البحث أنَّ (لا) التي عدَّها النحاة والمفسرون زائدة جيء بها لتوكيد المعنى المثبت ، إنَّما هي في الحقيقة (لا) النافية جيء بها لنفي المعنى ، لا لإثباته فليس في القرآن الكريم (لا) زائدة))

٢٩-**اللحن** : قال أبو بكر : ((واللحن حرف من الأضداد ، يقال : للخطأ لحن ، وللصواب لحن ، فأمَّا كون اللحن على معنى الخطأ فلا يحتاج

---

(١) الأضداد ص ١٣٤-١٣٨

فيه إلى شاهد ، وأمَّا كونه على معنى الصواب فشاهده قول الله عز وجل : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ){محمد: ٣٠} معناه : في صواب القول وصحته))[١]

قال ابن فارس : ((اللام والحاء والنون بناءان يدلُّ أحدهما على إمالة شيء من جهته ، ويدلُّ الآخر على الفطنة والذكاء ، فأمَّا اللحْن بسكون الحاء ، فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في اللغة العربية ، يقال : لحَنَ لَحْنًا ، وهذا عندنا من الكلام المُوَلَّد ؛ لأنَّ اللحن مُحدَث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة ، ومن هذا الباب قولهم : هو طيِّب اللحن ، وهو يقرأ بالألحان ، وذلك أنَّه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترنّمه ، ومنه أيضًا اللحْن : فحوى الكلام ومعناه ، قال الله تعالى : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ){محمد: ٣٠}...والأصل الآخر : اللحَن ، وهي الفطنة...وفي الحديث : لعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض))[٢]

وقال الراغب : ((اللحْن : صرف الكلام عن سننه الجاري عليه ، إمَّا بإزالة الإعراب ، أو التصحيف ، وهو المذموم ، وذلك أكثر استعمالًا ، وإمَّا بإزالته عن التصريح ، وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى ، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة ، وإيَّاه قصد الشاعر بقوله : وخير الحديث ما كان لَحْنًا ، وإيَّاه قُصِدَ بقوله تعالى : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ){محمد: ٣٠} ومنه قيل للفطن بما يقتضي فحوى الكلام : لَحِنٌ ، وفي الحديث : لعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، أي : ألسن وأفصح وأبين كلامًا ، وأقدر على الحجة)) [٣]

---

(١)الأضداد ص ١٥٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٣٠-٨٣١

(٣) المفردات ص ٤٦٨

فاللحن في القرآن الكريم ليس من الأضداد ؛ لأنَّه لم يرد في القرآن الكريم إلّا بمعنى واحد ، وهو الصواب ، وورد في شاهد واحد ، هو الشاهد المذكور ، أمَّا قول مصنف الأضداد ((فأمَّا كون اللحن على معنى الخطأ فلا يحتاج فيه إلى شاهد)) أراد شواهده بهذا المعنى في كلام العرب ؛ لذلك قال ابن فارس ، كما تقدم ، عن اللحن بمعنى الخطأ : ((وهذا عندنا من الكلام المُوَلَّد ؛ لأنَّ اللحن مُحدَث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة))

٣٠-ما : قال أبو بكر : ((و(ما) حرف من الأضداد تكون اسمًا للشيء ، وتكون جحدًا له ، فيقول القائل : طعامك ما أكلتُ ، وهو يريد طعامك الذي أكلتُه ، فتكون اسمًا للطعام ، وتقول : طعامك ما أكلتُ ، وهو يريد : طعامك لم آكل)) [(١)] أصحيح أنَّ (ما) النافية ضدها (ما) الموصولة ؟ بل أبو بكر نقل كما تقدم أنَّ (إن) النافية من الأضداد ، وضدها (قد) فكذلك لو جعلنا (ما) من الأضداد لوجب أن يكون ضدها (قد) ولم ترد (ما) بهذا المعنى ، بل هي من الألفاظ المشتركة ، ولها خمسة معان أساسية : النفي ، والموصولية ، والاستفهامية ، والشرطية ، والتعجب .

٣١-مِن : قال أبو بكر : ((و(مِن) حرف من الأضداد ، تكون لبعض الشيء ، وتكون لكلِّه ، فكونها للتبعيض لا يُحتاج فيه إلى شاهد ، وكونها بمعنى (كلّ) شاهده قول الله عزَّ وجلَّ : (وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ){محمد : ١٥} معناه : كلّ الثمرات ، وقوله عز وجل : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ){الأحقاف :٣١} معناه : يغفر لكم ذنوبكم ، وقوله عز وجل : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا){الفتح : ٢٩} معناه : وعدهم الله كلّهم مغفرة...وقول الله عز وجل : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

(١) الأضداد ص ١٢٥

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){آل عمران : ١٠٤} معناه : ولتكونوا كلّكم أمَّة تدعو إلى الخير...والعرب تقول : قطعتُ من الثوب قميصًا ، وهم لا ينوون أنَّ القميص قُطِعَ من بعض الثوب دون بعض ، إنَّما يَدُلُّون بـ(مِن) على التجنيس ، كقوله عز وجل : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ){الحج : ٣٠} معناه : فاجتنبوا الأوثان التي هي رجس ، واجتنبوا الرجس من جنس الأوثان ، إذ كان يكون من هذا الجنس ، ومن غيره من الأجناس ، وقال الله عز وجل : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا){الإسراء : ٨٢} فـ(مِن) هنا ليست تبعيضًا ؛ لأنَّه لا يكون بعض القرآن شفاء ، وبعضه غير شفاء ، فـ(مِن) تحتمل تأويلين : أحدهما التجنيس ، أي : ننزل الشفاء من جهة القرآن ، والتأويل الآخر أن تكون (مِن) مزيدة للتوكيد ، كقوله تعالى : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ){النور : ٣٠} وهو يريد يغضوا أبصارهم...وقال بعض أصحابنا (مِن) ليست زائدة في قوله تعالى : (وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ){محمد : ١٥} وفي قوله تعالى : (مِنْ أَبْصَارِهِمْ){النور : ٣٠} وفي قوله تعالى : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ){الأحقاف :٣١} وقال : أمَّا قوله : (مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فإنَّ (مِن) تبعيض ؛ لأنَّ العموم في جميع الثمرات لا يجتمع لهم في وقت واحد ، إذ كان قد تقدَّم منها ما قد أُكِلَ ، وزال ، وبقي منها ما يستقبل ولا ينفد أبدًا ، فوقع التبعيض لهذا المعنى ، قال : (يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) معناه : يغضوا بعض أبصارهم ، وقال : لم يُحظَر علينا كلُّ النظر ، إنَّما حُظِر علينا بعضُه ، فوجب التبعيض من أجل هذا التأويل ، قال : وقوله : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) (مِن) هنا مُجنِّسة ، وتأويل الآية : يغفر لكم من إذنابكم ، وعلى إذنابكم ، أي : يغفر لكم من أجل وقوع الذنوب منكم ، كما يقول الرجل : اشتكيت من دواء شربته ، أي : من أجل الدواء ، وقال بعض المفسرين : (مِن) في قوله : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا){الفتح : ٢٩} مبعَّضة ؛ لأنَّه ذكر أصحاب نبيه صلى

الله عليه وسلم ، وكان قد ذكر قبلهم الذين كفروا ، فقال : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّ) وقال بعدُ : (مِنْهُم){الفتح : ٢٩} أي : من هذين الفريقين ، ومن هذين الجنسين)) [١]

فتأمَّل أنَّ أبا بكر بعد أن جعل (مِن) من الأضداد ، ((تكون لبعض الشيء ، وتكون لكلِّه)) عاد فأبطل جعلها من الأضداد ، بنقل أقوال الحذاق من أهل اللغة أنَّ كلَّ (مِن) قيل بأنَّها جاءت مزيدة تفيد معنى الكل فهي تبعيضية ، ، أو للابتداء ، أو لبيان الجنس ، وتأمَّل مرة أخرى أنَّه جعل (مِن) بمعنى البعض ، وعند إلغائها جعلها بمعنى الكلّ ، وهذا خلاف المنطق والمعقول ،

وقد تقدم قوله : ((وقوله : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) (مِن) هنا مُجنَّسة ، وتأويل الآية : يغفر لكم من إذنابكم ، وعلى إذنابكم أي : يغفر لكم من أجل وقوع الذنوب منكم ، كما يقول الرجل : اشتكيت من دواء شربته ، أي : من أجل الدواء)) والصحيح أنَّ (مِن) في هذه الآية ونحوها للتبعيض ، وهو معنى مقصود ، قال الزركشي : ((لطيفة : إنَّها حيث وقعت في خطاب المؤمنين لم تذكر كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {١١} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ){الصف : ١٠-١٣} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا {٦٩} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ){الأحزاب : ٦٩-٧١} وقال في خطاب الكفار : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {١} قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٢} أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ {٣} يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ){نوح : ١-٤} وقال : (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ

---

(١) الأضداد ص١٥٨-١٥٩

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ){الأحقاف : ٣١} وما ذاك إلّا للتفرقة بين الخطابين ؛ لئلّا يسوي بين الفريقين في الوعد ؛ ولهذا فإنّه في سورة نوح والأحقاف وعدهم مغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان لا مطلقًا ، وهو غفران ما بينه وبينهم لا مظالم العباد))[1] وكأنَّما ذاك فضيلة ومزية لإمَّة محمد صلى الله عليه وسلم أنَّه سبحانه وعدهم أن يغفر لهم جميع ذنوبهم ، ولم يكن ذلك للأمم السابقة .

تبيَّن مما تقدَّم ذكره أنَّ جعل (مِن) من الأضداد مبني على القول بزيادتها ، في الشواهد التي استشهد بها ، وقد أنكر المصنف نفسه مجيء (مِن) زائدة ، في هذه الشواهد ، وخَرَّجها على أنَّها للتبعيض ، أو لبيان الجنس

٣٢-الناس : قال أبو بكر : ((والناس حرف من الأضداد ، يقال : ناس للناس ، وناس من الجن ، قال الله عز وجل : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {١} مَلِكِ النَّاسِ {٢} إِلَهِ النَّاسِ {٣} مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {٤} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {٥} مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ) أي : الذي يوسوس في صدور الناس ، جنتهم وناسهم ، قال الفرَّاء : حدَّث بعض العرب قومًا ، فقال : جاء قوم من الجنِّ ، فوقفوا ، فقيل لهم : مَن أنتم ؟ فقالوا : نحن ناس من الجنّ ، وقال الله عز وجل : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ){الجن : ١} فأوقع النفر على الجنّ ، وقال أيضًا : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الأنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا){الجنّ : ٦} فجعل من الجن رجالاً يستحقون التسمية برجال ، كما يستحق الناس)) [2]

قال ابن فارس : ((الهمزة والنون والسين أصل واحد ، وهو ظهور الشيء ، وكلّ شيء خالف طريقة التوحش ، قالوا : الإنس خلاف الجنّ ،

---

(١) البرهان ص ٩٠٦ وينظر : الإتقان ص ٢٧٣ والزيادة والإحسان ١٦٥/٨ .

(٢) الأضداد ص ٢٠٠ وينظر : معاني القرآن للفراء ١٨٩/٣

وسموا لظهورهم))[1] وقال الراغب : ((الإنس خلاف الجن ، والإنس خلاف النفور ، والإنسي منسوب إلى الإنس ، يقال ذلك لمن كثر أنسه ، ولكلِّ ما يؤنس به ؛ ولهذا قيل إنسيٌّ للجانب الذي يلي الراكب ، وإنسيُ القوس للجانب الذي يُقبل على الرامي ، والإنسيُّ من كلِّ شيء ما يلي الإنسان ، والوحشيُّ ما يلي الجانب الآخر...والإنسان ، قيل : سُمِّي بذلك ؛ لأنَّه خُلِق خلقة لا قوام له إلّا بإنس بعضهم ببعض...وقيل : هو إفعلان وأصله إنسيان سُمِّي بذلك ؛ لأنَّه عُهد إليه فنسيَ)) [2]

ما نقله الفراء : ((جاء قوم من الجنِّ ، فوقفوا ، فقيل لهم : مَن أنتم ؟ فقالوا : نحن ناس من الجنّ)) إنَّما كان من باب تشبيه الجن أنفسهم بالناس ، أنَّهم مثلهم مما يؤنس بظهورهم ، وقد قالوا ذلك وهم قد أظهروا أنفسهم ، بل هم بقولهم : نحن ناس من الجنّ ، قد أثبتوا أنَّهم جنٌّ وليسوا بناس من حيث التسمية ؛ لأنَّهم قالوا : نحن ناس من الجنّ ، ولم يقولوا : نحن ناس من الإنس ، أو : نحن ناس من الناس ، والرجال من الناس سمّوا رجالًا ؛ لأنَّهم يمشون على أرجلهم ، وخصَّ بذلك الذكر من دون الأنثى ؛ لأنَّه أقدر على المشي منها ، والمعروف أنَّ الجنّ سُمّوا بالجن لاستتارهم ، وهم بهذا يختلفون عن الناس ، وفيما عدا ذلك فهم كالناس ، يأكلون ويشربون وينطقون ، وهم كالناس يتناكحون ويتناسلون ، وهم كالناس مكلّفون بطاعة الله ، وهم كالناس منهم المؤمن ومنهم الكافر ، وهم كالناس لهم أرجل يمشون عليها ، ويكونون أفرادًا وجماعات ، لذلك جاز التعبير عنهم بالرجال ، وبالنفَر ، قال الزجاج في تفسير قوله تعالى : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) ((وذكر الجنة والناس للاستعاذة بكلِّ ما

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٦

(٢) المفردات ص ٣٣

يوسوس بسوء ، سواء كان من الشيطان ، أو الأناسيّ)) [1] فالزجاج لم يجعل (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بدلًا من (النَّاسِ) بل جعله متعلقًا بقوله (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ) والمعنى : من شرِّ الوسواس في حال كونه من الجِنّة والناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، وهذا التأويل ونحوه هو التفسير الصحيح الذي قال به جمهور المفسرين ، قال مكي بن أبي طالب القيسي : (((وَالنَّاسِ) خَفضٌ عطفٌ على الناس ، أي : من شرِّ الوسواس والناس))[2] وقال الواحدي : ((ثمَّ ذكر أنَّ هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس (مِنَ الْجِنَّةِ) وهم الشياطين ، وعطف قوله (وَالنَّاسِ) على الوسواس ، المعنى : من شرِّ الوسواس ، ومن شرِّ الناس ، كأنَّه أُمِر أن يستعيذ من شرِّ الجنِّ والإنس)) [3] وقال الزمخشري : (((مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للذي يوسوس ، على أنَّ الشيطان ضربان : جنِّيٌ وإنسيٌّ ، كما قال تعالى : (شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا){الأنعام : ١١٢} وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال لرجل : هل تعوّذتَ بالله من شيطان الإنس ؟ ويجوز أن يكون (مِن) متعلقًا بـ(يُوَسْوِسُ) ومعناه : ابتداء الغاية ، أي : يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ، ومن جهة الناس ، وقيل : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للناس ، وأنَّ اسم الناس ينطلق على الجِنَّة ، واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجنّ ، وما أحُقُّه ؛ لأنَّ الجنّ سُمّوا جنًّا لاجتنانهم ، والناس ناسًا لظهورهم ، من الإيناس ، وهو الإبصار ، كما سُمّوا بشرًا ، ولو كان يقع الناس على القبيلين ، وصحَّ ذلك وثبتَ ، لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن وبعده عن التصنع ، وأجود منه أن يراد بالناس : الناسي ، كقوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ){القمر :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٤/٥

(٢) مشكل إعراب القرآن ٥١٢/٢

(٣) الوسيط ٥٧٥/٤

٦))... لأنَّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل)) [١] وقال الشوكاني : ((ثمَّ بيَّن سبحانه الذي يوسوس بأنَّه ضربان : جنِّيٌّ وإنسِيٌّ ، فقال : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) أمَّا شيطان الجنّ فيوسوس في صدور الناس ، وأمَّا شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أنَّه يري نفسه كالناصح المشفق ، فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه : (شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ){الأنعام : ١١٢}))[٢] وقال الآلوسي : (((مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للذي يوسوس على أنَّه ضربان جنِّي وإنسيٌّ ، كما قال تعالى : (شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ) أو متعلق بـ(يُوَسْوِسُ) و(مِن) لابتداء الغاية ، أي : يوسوس في صدورهم من جهة الجن مثل أن يلقي في قلب المرء من جهتهم أنَّهم ينفعون ويضرون ، ومن جهة الناس مثل أن يلقي في قلبه من جهة المنجمين والكهان ، وأنَّهم يعلمون الغيب ، وجُوِّز فيه الحالية من ضمير (يُوَسْوِسُ)... وقال الفرَّاء وجماعة : هو بيان للناس بناءً على أنَّه يُطلَق على الجنّ أيضًا ، فيقال كما نقل عن الكلبي : ناس من الجنِّ ، كما يقال نفر ورجال منهم ، وفيه أنَّ المعروف عند الناس خلافه ، مع ما في ذلك من شبه جعل قسم الشيء قسيمًا له ، ومثله لا يناسب بلاغة القرآن ، وإن سلم صحته ، وتُعقِّب بأنَّه يلزم عليه القول بأنَّ الشيطان يوسوس في صدور الجنِّ كما يوسوس في صدور الناس ، ولم يقم دليل عليه ، ولا يجوز جعل الآية دليلًا لما لا يخفى)) [٣] وقال الحلبي : ((وقوله : (مِنَ الْجِنَّةِ) فيه أوجه :

أحدها : أنَّه بدل من (شَرِّ) بإعادة العامل ، أي : من شرِّ الجنة .

---

(١) الكشاف ٨١٩/٤

(٢) فتح القدير ٦٦٤/٥

(٣) روح المعاني ٥٢٦/١٥

الثاني : أنَّه بدل من ذي الوسواس ؛ لأنَّ الموسوس من الجنِّ والإنس .

الثالث : أنَّه حال من الضمير في (يُوَسْوِسُ) أي : يوسوس حال كونه من هذين الجنسين .

الرابع : أنَّه بدل من الناس .

الخامس : أنَّه بيان للذي يوسوس ، على أنَّ الشيطان ضربان : إنسيٌّ وجنّيٌّ .

السادس : أنَّه يتعلَّق بـ(يُوَسْوِسُ) و(مِن) لابتداء الغاية ، أي : يوسوس في صدورهم من جهة الجنِّ ومن جهة الإنس .

السابع : أنَّ (وَالنَّاسِ) عطف على الوسواس ، أي : من شرِّ الوسواس والناس .

الثامن : أنَّ (مِنَ الْجِنَّةِ) حال من الناس ، أي : كائنين من القبيلين))[١]

فقد ذكر ثمانية أوجه جميعها تجعل الناس في قوله تعالى : (فِي صُدُورِ النَّاسِ) باقية على بابها تعنى الناس وحدهم ، إلّا القول الرابع

فالناس ليس من الأضداد ، وأكبر دليل على ذلك أنَّه لم يرد في القرآن الكريم إطلاق الناس على الجنّ ، فقد ورد لفظ الناس في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، ولم أجد مفسرًا قد ذكر أو نقل أنَّ الناس في آية كذا أريد بهم الجنّ ، والشاهد الوحيد نفسه الذي ذكره مصنف الأضداد ، لو صحَّ فإنَّه لا يصح الاستناد إليه لجعل الناس من الأضداد ؛ لأنَّه ما أريد بهم الجنّ وحدهم ، بل الناس والجنّ معًا ، وعلى الرغم من ذلك فالتفسير الصحيح كما تقدم أنَّه أراد الناس وحدهم ، من دون الجنّ .

---

(١) الدر المصون ١١/١٦٢-١٦٤

٣٣-**النـدّ** : قـال أبـو بكـر بـن الأنبـاري : ((والنـدُّ يقـع علـى معنيـين متضادين ، يقال : فلان نِدُّ فلان : إذا كان ضدّه ، وفلان نِدّه : إذا كان مثله ، وفسَّر النـاس قول الله عزَّ وجلَّ : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٢٢} على جهتين : قال الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : معناه : : فلا تجعلوا لله أعدالًا ، والعِدْل : المثل ، وقال أبو العباس ، عن الأثرم عن أبـي عبيـدة : (فَـلاَ تَجْعَلُـواْ لِلّـهِ أَنـدَاداً) أضـدادًا))[1]وقـال أبـو الطيِّـب : ((ومـن الأضـداد النِـدُّ ، قـال أبـو حـاتم : اجتمعـت العـرب علـى أنَّ نـدَّ الشـيء مثلـه وشـبهه...وزعـم بعـض النـاس أنَّ بعـض العـرب يجعلـون النِـدَّ بمعنـى الضـدّ أيضًا))[2]

وقال الراغب : ((ونديد الشيء ، مشاركه في جوهره ، وذلك ضرب من المماثلة ، فإنَّ المِثْل يقال في أيّ مشاركة كانت ، فكل نِدٍّ مِثْل ، وليس كل مثل ندّ)) [3] وقال الطبري في تفسير قوله تعالى : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٢٢} ((والأنداد جمع نِدٍّ ، والندّ: العِدْلُ والمِثْلُ ، كما قال حسان بن ثابت :

أتهجوه ولستَ له بنِدٍّ فشرُّكما لخيركما الفداء

عن قتادة : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً) أي : عِدْلًا...عن مجاهد : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا) أي : عِدْلًا...وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً) قال : أكفَّاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله...قال ابن زيد في قول الله تعالى : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً) قال : الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ،

---

(١) الأضداد ص ٢٥

(٢) الأضداد في كلام العرب ص ٤٠٩-٤١١

(٣) المفردات ص ٥٠٨

وجعلوا لها مثل ما جعلوا له...عن ابن عباس في قوله تعالى : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً) قال : أشباهًا)) [١] وقال الزمخشري : ((والنِّدُّ : المِثلُ ، ولا يقال إلّا للمثل المخالف المناوئ...ومعنى قولهم : ليس لله نِدٌّ ، ولا ضدٌّ ، نفي ما يسدُّ مسدَّه ، ونفي ما ينافيه)) [٢] وقال ابن عطية : ((وواحد الأنداد نِدٌّ ، وهو المقاوم والمضاهي كان مِثْلًا ، أو خلافًا ، أو ضدًّا ، ومن حيث قاوم ، وضاهى ، فقد حصلت مماثلة ما))[٣] وقال الحلبي : ((وقيل : أندادًا : نظراء ، وقيل : أضدادًا ، قاله أبو عبيدة ، وقال غيره : ليس كذلك ، بدليل قولهم : ليس لله نِدٌّ ولا ضدٌّ ، وقالوا في تفسيره : إنَّه نفى ما يسدُّ مسدَّه ، ونفى ما ينافيه ، فدلَّ على أنهما غيران)) [٤]

يتبيَّن مما تقدم ذكره أنَّ الندَّ في القرآن الكريم ليس من الأضداد ، وأنَّه جاء بمعنى المِثْل المناوئ المضاهي في كل مواضع وروده في كتاب الله

٣٤-هل : قال أبو بكر : ((و(هل) حرف من الأضداد ، تكون استفهامًا عمَّا يجهله الإنسان ولا يعلمه...وتكون (هل) بمعنى (قد) ، فأمَّا كونها على معنى الاستفهام فلا يُحتاج فيه إلى شاهد ، وأمَّا كونها على معنى (قد) فشاهده قول الله عز وجل : (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الإنسان : ١} قال جماعة من أهل العلم : معناه : قد أتى على الإنسان ، والإنسان في هذا الموضع آدم عليه السلام ، والحين أربعون سنة ، كان الله جل وعز خلق صورة آدم ولم ينفخ فيه الروح أربعين سنة...وقول الله

---

(١) جامع البيان ١/١٨٧-١٨٨ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ص٩٤ والوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/٩٩-١٠٠وزادالمسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/٤١-٤٢

(٢) الكشاف ١/١٠١ وينظر :عمدة الحفاظ للحلبي ٤/١٥٦

(٣) المحرر الوجيز ١/١٠٦

(٤) عمدة الحفاظ ٤/١٥٦

عز وجل : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾{ق : ٣٠} معنى (هل) (قد) عند بعض الناس ، والتأويل : قد امتلأت ، فقالت جهنم مؤكدة لقول الله عز وجل : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي : ما من مزيد يا ربّ ، فـ(هل) الثانية معناه الجحد، وهو معنى لها معروف يخالف المعنيين الأوَّلين ، قال الله عز وجل : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾{الزخرف : ٦٦} معناه : ما ينظرون)) [١]

جاء في كتب اللغة والتفسير أنَّ (هل) التي هي حرف استفهام قد تخرج عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى ، فتجيء بمعنى (ما) النافية ، كقوله تعالى : ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلّا الإِحْسَانُ﴾{الرحمن : ٦٠} والمعنى : ما جزاء الإحسان إلّا الإحسان ، وبمعنى (قد) كقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾{الإنسان : ١} والمعنى : قد أتى ، وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾{الغاشية : ١} يعني : قد أتاك ، وبمعنى (ألا) كقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾{الكهف : ١٠٣} أي : ألا أنبئكم ، وبمعنى التوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾{الروم : ٤٠} وبمعنى (أليس) ، كقوله تعالى : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾{الفجر : ٥} أي : أليس في ذلك ، وبمعنى الأمر كقوله تعالى : ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾{الصافات :٥٤} والسؤال كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾{ق : ٣٠}[٢]

---

(١) الأضداد ص ١٢٣-١٢٤

(٢) ينظر : تفسير مقاتل ٤٢٥/٣ ، ٤٧٨ والأشباه والنظائر لمقاتل ص١٥١-١٥٣وباسم الوجوه والنظائر ص ٤٩-٥٠ والوجوه والنظائر لهرون ص٩٤-٩٦ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٨٨ والأزهية في علم الحروف للهروي ص ٢١٨والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٤٣ ونزهة القلوب لأبي بكر السجستاني ص ٤٧٧ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٦٠-٤٦١ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٣٠٥-٣٠٦ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ٢٣٩-٢٤١

أريد في هذا المقام أن أذكر حقيقة طالما ذكرتها من قبل ، هي أنَّه ليس في اللغة ولا سيّما في القرآن الكريم من لفظين متطابقين في المعنى ، فالقول بأنَّ (هل) ترد في القرآن الكريم بمعنى (ما) النافية ، أو معنى (قد) أو معنى كذا وكذا يرده واقع اللغة ، حتى إنَّ المعاجم عندما تعرِّف أي لفظ كان تشرح دلالته ، أو تعرفه بأقرب المعاني إليه ، ولا تعرفه بما يطابق معناه ؛ لأنَّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، هذه حقيقة يجب أن نسلِّم بها تسليما ، ولهذا أقول : إنَّ (هل) لم ترد إلّا بمعنى (هل) الموضوعة للاستفهام التي فيها معنى الطلب عن الجواب ، أو لجعل ما يتضمنه استفهام (هل) بمنزلة الحقيقة التي لا شك فيها ولا اختلاف ؛ لذلك يُستغنى فيها عن التصريح بالجواب ؛ لأنَّ جوابها واحد متفق عليه ، وقد عُرِّفت (هل) بأنَّها ((للاستفهام ، ولا يكون المستفهم عنه إلّا فيما لا ظنَّ له فيه البتة)) [(1)] فـ(هل) مثلًا في قوله تعالى : (هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلّا الإِحْسَانُ) هو استفهام حقيقي موجه إلى كل إنسان ليقرَّ بمضمونه ، وهو جعل الإحسان جزاؤه الإحسان ، وهو من الأمور الثابتة الكامنة في عقل كل عاقل وقلبه ، ويكون المراد من استعمال (هل) هنا حمل المخاطبين على الإقرار بهذا الأمر بالإجابة عنه في نفسه : نعم جزاء الإحسان هو الإحسان ، لكن لمَّا جعلوا الإجابة بتقدير : ما جزاء الإحسان إلّا الإحسان ، توهَّموا أنَّ (هل) بمعنى (ما) النافية

وكذلك جعلُ (هل) بمعنى (قد) في قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) وهذا ما قال به جماعة من النحاة

والجنى الداني للمرادي ص ٣٤٢ ومغني اللبيب لابن هشام ٢/٣٥٠ والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٩٠٩ وبصائر ذوي التمييز ٥/٣٣٦-٣٣٧ .

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٩٠٩.

والمفسرين بأنَّ (هل) في هذه الآية بمعنى (قد) وليست باستفهام [١] و((قال المفسرون وأهل المعاني : قد أتى ، فـ(هل) ها هنا خبر وليس باستفهام))[٢]والحقيقة أنَّ (هل) فيما تقدم ونحوه استفهام وسؤال موجَّه إلى المخاطب : أيقر بما يتضمنه هذا الاستفهام والسؤال أم ينكره ؟ والإجابة تقتضي الإقرار ، لأنَّه سؤال عن حقيقة لا يستطيع المسؤول أن ينكرها ، قال الفراء في تفسير قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ) : ((معناه : قد أتى على الإنسان حين من الدهر ، و(هل) تكون جحدًا وتكون خبرًا فهذا من الخبر ؛ لأنَّك تقول : فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنَّك قد أعطيته ووعظته ، والجحد أن تقول : هل يقدر واحد على مثل هذا؟))[٣] وأنت ترى أنَّ كلا المثالين استفهام تقريري ، وقال ابن قتيبة : ((والمفسرون يجعلونها في بعض المواضع بمعنى (قد) كقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ)...ويجعلونها أيضًا بمعنى (ما)... وهو والأول عند أهل اللغة تقرير))[٤]وقال الشوكاني : ((هل : هنا بمعنى (قد) ، وليس باستفهام...قيل : هي وإن كانت بمعنى قد ففيها معنى الاستفهام...والاستفهام للتقرير والتقريب)) [٥]

---

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٨٢، والمقتضب للمبرد بتحقيق هرون ١/٤٣-٤٤ ، وبتحقيق بديع ١/٨٥ وجامع البيان للطبري ٢٩/٢٤٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/٢٠٠ ، والأزهية للهروي ص ٢١٧ ، والكشاف للزمخشري ٤/٦٥٣ ، ورصف المباني للمالقي ص ٤٧٠-٤٧١ .

(٢) الوسيط ٤/٣٩٨ .

(٣) معاني القرآن ٣/١٠٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٥) فتح القدير ٥/٤٢٨.

والصحيح أنَّ هل في الآية جاءت على بابها استفهامية ، والدليل على ذلك أنَّ الذين قالوا بأنَّها جاءت بمعنى (قد) وأنَّها خرجت عن حد الاستفهام ، أنَّ هؤلاء أنفسهم ، قد أقروا من جانب آخر باستفهامية (هل) فقد قال الطبري في تفسير الآية : ((يعني جل ثناؤه : قد أتى على الإنسان ، و(هل) في هذا الموضع خبر لا جحد ؛ ذلك كقول القائل لآخر يقرره : هل أكرمتُك ؟ وقد أكرمه ، وهل زرتُك ؟ وقد زاره)) [١] فالطبري مع أنَّه ذهب إلى أنَّ (هل) في الآية خبر لا استفهام وأنَّها بمعنى (قد) أثبت بالأمثلة أنَّها استفهام تقريري ، وقال الزجاج : ((ومعنى (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ) قد أتى على الإنسان ، أي : ألم يأت على الإنسان حين من الدهر))[٢] وقال الزمخشري : ((هل : بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة ، والأصل : أهل ، فالمعنى : أقد أتى ، على التقرير والتقريب جميعًا)) [٣] أي : أنَّ (هل) جمعت بين معنى الاستفهام الذي يفيد التقرير و(قد) التي تفيد التقريب ، فالزجاج والزمخشري وإن ذهبا إلى أنَّ (هل) بمعنى (قد) فقد أثبتا أنَّها استفهامية عندما جعل الأول الآية بتقدير : ألم يأت على الإنسان؟ والثاني بتقدير : أقد أتى على الإنسان؟ وتقدير الزجاج أدق وأصح من تقدير الزمخشري ، قال ابن هشام : ((فزعموا أنَّ (هل) لا تأتي بمعنى (قد) أصلًا ، وهذا هو الصواب عندي))[٤] بل هي استفهام حقيقي قال ابن جني : ((يمكن عندي أن تكون مبقاة في هذا الموضع على بابها من

---

(١) جامع البيان ٢٤٠/٢٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٥

(٣) الكشاف ٦٥٣/٤ ، وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٤٠٨/٥ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٥٤٩/٨

(٤) مغني اللبيب ٣٥٢/٢.

الاستفهام ، فكأنَّه قال ، والله أعلم : وهل أتى على الإنسان هذا ؟ فلا بد في جوابهم من نعم ملفوظًا بها أو مقدرة)) [١]

وقد بيَّن مكي بن أبي طالب القيسي السرّ والغرض من استعمال (هل) فقال : ((قيل : هل بمعنى (قد) والأحسن أن تكون (هل) على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير ، وإنما هو تقرير لمن أنكر البعث ، فلا بدّ أن يقول : نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه ، فيقال له : من أحدثه بعد أن لم يكن ، وكوَّنه بعد عدمه ، كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته ، وهو معنى قوله : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ){الواقعة : ٦٢} أي : فهلا تذكرون ، فتعلمون أنَّ من أنشأ شيئًا بعد أن لم يكن على غير مثال قادر على إعادته بعد موته وعدمه)) [٢]

فتأمَّل أنَّ كل هذه المعانى المتحركة المتتالية ، التي تؤلف جزءًا من بلاغة القرآن ، جاء من جعل (هل) على بابها استفهامية ، وتأمل مرة أخرى أنَّ جعلها بمعنى (قد) أطفأ ما في هذه الآية من ومضات ، وأمات ما فيها من نبض وحياة .

والشاهد الثاني الذي ذكره النحاة والمفسرين كما تقدم في هذا الباب قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) والمعنى عندهم قد أتاك حديث الغاشية ، والغاشية هي القيامة تغشى الناس بالأهوال ، وقيل النار لأنَّها تغشى وجوه الكفار [٣] والصحيح أنَّ (هل) في هذه الآية كالآية السابقة للاستفهام التقريري قال الزجاج : ((ومعنى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) أي : هذا لم يكن من علمك

---

(١) لسان العرب ٨٧/١٥ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ٤٣٤/٢ ، وينظر : مغني البيب ٣٥٢/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٣/٢٠-٤

(٣) ينظر : جامع البيان ١٩٤/٣٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/٥ .

ولا من علم قومك ، وكذلك الأقاصيص التي أُخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ){هود : ٤٩}[١] وقال ابن عطية : ((قال بعض المفسرين : هل أتاك : بمعنى قد أتاك ، وقال الحذاق : هي على بابها توقيف ، فائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر ، وقيل المعنى : هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك))[٢] وقال ابن كثير : ((عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم على امرأة تقرأ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) فقام يستمع ويقول : نعم قد جاءني)) [٣] ولهذا((قيل : إنَّ بقاء (هل) على معناها الاستفهامي المتضمن للتعجب مما في خبره ، والتشويق إلى استماعه أولى)) [٤] وقال الآلوسي : ((والمختار أنَّه للاستفهام أُريد به التعجب والتشويق إلى استماعه ، والإشعار أنَّه من الأحاديث البديعة التي حقها أن تتناقلها الرواة ويتنافس في تلقنها الوعاة))[٥]

يتبين من هذا أنَّ في جعل (هل) بمعنى (قد) في قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) تحريفًا لمعنى الآية وتفسيرها وإماتة للجانب البلاغي فيها

وهذا هو حال هل أيضًا التي جُعلت بمعنى (ألا) في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) والغرض من هذا الاستفهام هو التنبيه على أنَّ الجواب عنه يهمهم ، ومن الضروري والمفيد التعرف إليه ، وأنَّ في معرفته

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/٥ ، وينظر : زاد المسير ٢٤٩/٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٢/٥ ، وينظر : البحر المحيط ٦٤٩/٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٠/٨.

(٤) فتح القدير ٥٣٥/٥ .

(٥) روح المعاني ٣٢٤/١٥

منفعتهم ، فأريد بهذا الاستفهام حملهم على الإجابة عنه بالإثبات ، وكأنَّه أريد أن يقولوا في أنفسهم : نعم نريد أن تنبئنا عن الأخسرين أعمالًا ؛ من أجل أن نتجنب أعمالهم ، ولا نكون أخسر الناس مثلهم .

وكذلك (هل) التي جَعلوها بمعنى التوبيخ في قوله تعالى : (هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ) لأنَّ الغرض من استعمال هل هنا هو حمل المخاطبين على الإجابة عمَّا استقر عندهم من الأمور المنكرة والمعتقدات الباطلة التي لا يستطيعون أن ينكروا بطلانها ، وفي ذلك توبيخ لهم

وكذلك هل التي جعلوها بمعنى (أليس) في قوله تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) [١] و(هل) هنا أيضًا استفهامية ، والدليل على ذلك جعلها بمعنى (أليس) التي هي كقوله تعالى : (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى){القيامة : ٤٠} وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ){التين : ٨} وقد جاء في الحديث الصحيح أنَّ من قرأ هذه الآية في السورتين فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين[٢] والدليل على ذلك أيضًا أنَّ ابن الجوزي فسَّرها بمعنى الاستفهام فقال : ((هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها (قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) أي : لذي عقل...ومعنى الكلام : أنَّ من كان ذا لب عَلِمَ أنَّ ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه دلائل على توحيد الله وقدرته ، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته)) [٣] فقد أريد من الاستفهام حمل المخاطبين على الإجابة عنه بالإثبات ؛ لأنَّه استفهام عن حقيقة يجب أن تكون معلومة ، لذا يجب أن

---

(١) ينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٤١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٣/٨ ، ٣٤٠.

(٣) زاد المسير ٢٥٧/٨.

يكون الجواب : نعم إنَّ في ذلك قسمًا لذي حجر ، والجدير بالذكر أنَّ الهروي جعل (هل) في هذه الآية بمعنى (إنَّ) وبالتقدير نفسه[١]

وكذلك (هل) التي جعلوها بمعنى الأمر في قوله : (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ){الصافات :٥٤}[٢] استفهامية أريد بها حمل المخاطبين على الإجابة عنها بالإثبات ؛ لأنَّ اطلاع المؤمن وهو في الجنة على أهل النار تجعل المؤمن يشعر بعظم نعمة الله عليه ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ ابن الجوزي فسَّر الآية بمعنى الاستفهام فقال : ((أي : هل تحبّون الاطلاع إلى النار لتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهلها)) [٣]

وكذلك (هل) التي جعلوها بمعنى السؤال في قوله تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ)[٤] والسؤال مرادف للاستفهام ، والدليل على استفهاميتها أنَّها جاءت جوابًا عن (هل) الأولى بالأسلوب نفسه ، قال ابن الجوزي : ((فأمَّا فائدة سؤاله إيّاها ، وقد علم امتلأت أم لا ، فإنَّه توبيخ لمن أدخِلها...وفي قولها : (هَلْ مِن مَّزِيدٍ) قولان عند أهل اللغة : أحدهما : أنَّها تقول ذلك بعد امتلائها فالمعنى : هل بقي فيَّ موضع لم يمتلئ ؟ قد امتلأتُ ، والثاني : أنَّها تقول تغيظًا على من عصى الله)) [٥]

فـ(هل) ليست من الأضداد ، ولا من الألفاظ المشتركة ، وأنَّها لم تخرج عن حد الاستفهام في القرآن الكريم ولم ترد فيه إلّا بمعنى (هل) أي : للاستفهام

---

(١) ينظر : الأزهية في علم الحروف ص ٢١٧.

(٢) ينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٤١

(٣) زاد المسير ٦/٣٠٧.

(٤) ينظر : منتخب قرة العيون ص ٢٤١ .

(٥) زاد المسير ٧/٢٤٢-٢٤٣.

، وليتخلَّ كل أهل اللغة والنحو والتفسير بعد اليوم عن قولهم بأنَّ لفظ كذا في القرآن الكريم جاء بمعنى كذا .

وهذا حال كل استفهام وجهه الله سبحانه إلى عباده بأي أداة كانت من أدوات الاستفهام ، فإنَّه استفهام أريد منه حمل المخاطَب على الإجابة عنه إمَّا بإقرار ما أقرَّه الله ، أو بإنكار ما أنكره الله فـ(عن جابر قال خرج رسول الله على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : فقد قرأتها على الجنّ ليلة الجنّ ، فكانوا أحسن مردودًا منكم ، كنت كلما أتيتُ على قوله : (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكّذب ، فلك الحمد))[١] ..

٣٥-وراء : قال أبو بكر : ((ووراء من الأضداد ، يقال للرجل : وراءك ، أي : خلفك ، ووراءك ، أي : أمامك ، قال الله عزَّ وجلَّ : (مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ){الجاثية : ١٠} فمعناه من أمامهم ، وقال تعالى : (وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا){الكهف : ٧٩}))[٢]

((ووراء : يكون بمعنى خلْف ، وقد يكون بمعنى قدام ، فهو ضد ، أو لا ، أي : ليس بضد ؛ لأنَّه بمعنى واحد ، وهو ما توارى عنك يكون خلف ، ويكون قدام ، وإليه ذهب الزجاج والآمدي)) [٣]

والمذهب الثاني هو الصحيح ، وهو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين ، قال الأخفش في تفسير قوله تعالى : (مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ){إبراهيم : ١٦} أي : من أمامه ، وإنَّما قال (وراء) أي : أنَّه وراء ما هو فيه ، كما تقول للرجل : هذا من ورائك ، أي : سيأتي عليك ، وهو من وراء ما

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٧٥/٧ والحديث في صحيح الجامع ٥١٣٨ حسنه الألباني

(٢) الأضداد ص ٥٢-٥٣ وينظر : الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب ص٤١٢

(٣) تاج العروس ٩٠/٤٠

أنت فيه ؛ لأنَّ ما أنت فيه قد كان مثل ذلك فهو وراؤه ، وقال تعالى : (وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ){الكهف : ٧٩} في هذا المعنى ، أي : كان وراء ما هم فيه)) [١] وقال الزجاج : (((مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ) أي : جهنَّم بين يديه ، و(وراء) يكون لخلْف وقدَّام ، وإنَّما معناه : ما توارى عنك ، أي : ما استتر عنك ، وليس من الأضداد ، كما يقول بعض أهل اللغة)) [٢] (((وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ){إبراهيم : ١٧} أي : من بعد ذلك)) [٣]وقال ابن سيده : ((والوراء جميعًا يكون خلْف وقدّام ، وقال ثعلب : الوراء : الخلف ، ولكن إذا كان مما تمرّ عليه فهو قدّام ، هكذا حكاه)) [٤] وقال ابن عطية : ((وتلخيص هذا أن يُشبَّه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة ، فما تقدَّم فهو أمام ، وما تأخَّر فهو وراء المتقدم ، وكذلك قوله تعالى : (وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ){الكهف : ٧٩} أي : غصبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم)) [٥] وقال القرطبي : ((قوله تعالى : (مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ) أي : من وراء ذلك الكافر ، أي : من بعد هلاكه ، ووراءُ بمعنى بعدُ ، وكذلك قوله تعالى : (وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ){إبراهيم : ١٧} أي : من بعده ، وقوله تعالى : (وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ){البقرة : ٩١} أي : بما سواه)) [٦] ((وسئل ثعلب : لمَ قيل : الوراء للأمام ؟ فقال : الوراء : اسم لما توارى عن عينيك ، سواء أكان أمامك أو خلفك)) [٧] ((وقال ابن الأنباري : وراء بمعنى

---

(١) معاني القرآن ص ٢٣٢ وينظر : جامع البيان للطبري ٢٣٢/١٣

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٨/٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢٨/٣

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٣٥٠/١٠

(٥) المحرر الوجيز ٣٣١/٣

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/٩

(٧) زاد المسير لابن الجوزي ٢٦٩/٤ وينظر : الدر المصون للحلبي ٨٠/٧

بعد))[١] و((وراء بمعنى خلف وقدام ، ومعناه : ما توارى عنك واستتر))[٢] فـ(وراء) ليست من الأضداد ، لأنَّها أينما وردت في كتاب الله ، إمَّا أن تكون على بابها بمعنى بعد ، أو بمعنى : ما توارى عنك .

واستعمل (وراء) مجازًا كقوله تعالى : (نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ){البقرة : ١٠١} ((ونبذوه وراء ظهورهم ، مثلٌ لتركهم وإعراضهم عنه ، مثل بما يرمى بها وراء الظهر استغناء عنه ، وقلَّة التفات إليه ، وعن الشعبي : هو بين أيديهم يقرؤونه ، ولكنّهم نبذوا العمل به ، وعن سفيان : أدرجوه في الديباج والحرير وحلّوه بالذهب ، ولم يحلّوا حلاله ، ولم يحرّموا حرامه)) [٣] ((والعرب تقول : جعل هذا الأمر وراء ظهره ودبر أذنه))[٤]

الخاتمة والنتائج

يمكن إجمال هذه النتائج بما يأتي :

١-تبيَّن أنَّ جميع الأضداد التي قيل بوجودها في القرآن الكريم قد اختلف أهل التأويل في تأويل معانيها ، بين تأويلات تدخلها في باب الأضداد ، وأخرى تخرجها من هذا الباب ، والأضداد لا يصحُّ إطلاق هذا المصلح عليها إلّا إذا كانت معانيها المتضادَّة حقائق ثابتة لا يُختَلَف فيها ؛ لذلك فإني لا أؤمن بوجود الأضداد في كتاب الله .

٢- ذكر أهل اللغة أنَّ ثمة عوامل كثيرة أدت إلى نشوء الأضداد في اللغة ، كقلب اللفظ إلى ضده ، بسبب التصحيف ، أو لاختلاف الصيغة ، أو

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٣٥٨/١١

(٢) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٠٤/٤

(٣) الكشاف للزمخشري ١٧١/١ وينظر : جامع البيان للطبري ٥١٠/١

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ١٨٥/١

لضياع المعنى الأصلي له ، أو قلبه إلى ضده تفاؤلًا ، أو خوفًا من الحسد ، فهذه العوامل وغيرها جاز وقوعها في لغة العرب ؛ لأنَّهم بشر ، ولا يجوز وقوعها في كتاب الله ؛ لأنَّه كلام الله ؛ لذلك خلت لغة القرآن من ظاهرة التضادّ

٣-تبيَّن أنَّ جميع الأضداد التي قيل بوجودها في القرآن الكريم استند القائلون بها إمَّا إلى تفسير غلط ، وإمَّا إلى تفسير بعيد ومرجوح ، وهذا يعني أنَّ القول بالضدّ لا يكون إثباته إلّا بإلغاء التفسير الذي صحَّ وتعيين ما لم يصحُّ .

٤-الدليل القاطع على أنَّه سبحانه أراد من الألفاظ المذكورة معانيها الأصلية ، وأنَّه أراد أن تكون على بابها ، هو أنَّه جلَّ ثناؤه عبَّر عنها بألفاظها ، فيكون الدليل على عدم صحة الأضداد التي قيل بها في كتاب الله أنَّه لو أراد معاني الأضداد لعبَّر عنها بألفاظها ، فما الداعي وما المسوغ في أن يذكر لفظًا وهو يريد معنى ضدِّه ، فلو أراد معنى ضدَّه لعبَّر عنه بلفظه .

ثَبَتُ المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١) تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م

-الأزهية في علم الحروف ، لعلي بن محمد النحوي الهروي (ت : ٤١٥هـ) تحقيق عبد المعين الملوحي ١٣٩١هـ=١٩٧١م

-الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاته

-الأضداد ، لمحمد بن القاسم الأنباري (ت : ٣٢٨هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-الأضداد في كلام العرب ، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت : ٣٥١هـ) بتحقيق الدكتور عزة حسن ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

-إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت : ٣٣٨هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصبهاني (ت : ٦٠٣هـ) ضبط نصه وعلق عليه أبو محمد الأسيوطي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م .

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د-ت) .

-الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري ، تأليف أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر جمال الدين بن الحاجب المالكي المتوفى سنة ٦٤٦هـ، تحقيق محمد عثمان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١١م

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله الدكتور عبد الرزاق المهيدي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت٧٩٤هـ) بدر الدين بن محمد، تحقيق : محمد أبي الفضل ، الطبعة الثالثة، بيروت .

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت (د-ت)

-تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (ت : ٢٧٦هـ) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

-تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى بن محمد الحيني الزَّبيدي (ت :١٢٠٥هـ) اعتنى به ووضع حواشيه الدكتور عبد المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م .

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م

-تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت : ٢٧٦) تحقيق السيد أحمد صفر ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمسقي ، علق عليه وخرَّج أحاديثه هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة (د-ت) .

-تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

-تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق د-رياض زكي قاسم ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

- جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٦م.

- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت :٦٧١هـ) تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الأولى ، دار العلم الجديد ، القاهرة ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والدكتور محمد نديم فاضل ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٣٠هـ =١٩٩٢م

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

-ديوان الأدب ، ميزان اللغة ومعيار الكلام لإسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي(ت : ٣٥٠هـ) تحقيق محمد السيد عثمان ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ٢٠١١م

-رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي (ت : ٧٠٢) تحقيق أ.د.أحمد محمد الخرَّاط ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ، دمشق ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

–زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) وضع حواشيه ، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

–الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، لأبي عقيلة المكي (ت : ١١٥٠هـ) الطبعة الأولى ، جامعة الشارقة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

–شرح القصائد العشر ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت :٥٠٢هـ) تحقيق الأستاذ عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٨هـ=١٩٩٧م .

–شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ،(ت : ٣٢٨هـ) تحقيق بركات يوسف هبّود ،المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

–شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

–شرح المفصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ) وضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.

–عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د–ت)

–العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ) الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د-ت).

-فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ، لنور الدين بن نعمة الله الجزائري ، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الفروق اللغوية ، لأبي هلال بن سهل العسكري (ت :٣٩٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠٩م .

-فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة السادسة ، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القَريميِّ الكفويِّ (ت : ١٠٩٤هـ) تحقيق د-عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ=٢٠١١م .

- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،

والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

–لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) ، الطبعة الثانية ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

–مجاز القرآن ، لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التيمي (ت : ٢١١هـ) تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م

–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

–المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المعروف بابن سيده (ت : ٤٨٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م

–مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

–المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، حققه محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت (د–ت) .

–مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق يس محمد السواس ، دمشق ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م .

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

-معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م .

-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين يوسف بن احمد بن عبد الله الانصاري ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة .

-المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

-مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-المقتضب ، لمحمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ) تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب، بيروت (د-ت)

-المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت : ٢٨٥هـ) تحقيق حسن حمد ومراجعة الدكتور إميل يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م .

-منتخب قرَّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) تحقيق محمد السيد الصفطاوي ، والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، الإسكندرية (د-ت)

-موسوعة علوم اللغة العربية ، إعداد الأستاذ الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م

-نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر ، للإمام جمال أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) وضع حواشيه خليل المنصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

-نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز ، للإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت : ٣٢٠هـ) تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م

-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين السيوطي ، (ت : ٩١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر.

-وجوه القرآن ، لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت : ٤٣٠هـ) تحقيق جلال السيوطي ، الطبعة الأولى ، لبنان ١٤٣٢هـ=٢٢٠١١

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت : بعد ٣٩٥هـ) تحقيق أحمد السيد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م .

-الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لهرون بن موسى القارئ (ت : ١٧٠هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن ، الطبعة الأولى ، عمَّان ٢٠٠٢م .

-الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ) تحقيق عربي عبد الحميد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

- الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

فهرس ألفاظ الأضداد

السيرة العلمية

–الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني.

–محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

–أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

–أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

–أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

–خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

–عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيّارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كَرَمْلِيسْ ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي

بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ إلى التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

-ترقيتُ إلى الأستاذية بعد إحالتي إلى التقاعد ، واحتسبت من تاريخ تقديمي لها في٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١-الله والتقدم المادي عند الإنسان سنة ١٩٧٧ .

٢-اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣-فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤-إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥-مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦-دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧-بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وقد غيَّرتُ عنوانه إلى : صيحاتي بأُمّتي السَّبيَّة في ثماني قصائد إسلامية

٨-المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم

الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣-(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم ، وقد دمجتُ هذا الكتاب في الكتاب السابق

١٤- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم

ملاحظـة : هنـاك خطـأ شـائع جـدًّا ، يتعلّـق برسـم الكلمـة ، وهـو وضـع تنوين الفتح والنصب على الألف ، والصحيح وضعها على الحرف قبلها ، فمن ذلك مثلًا رسم الكلمات : مثلاً–سميعاً–كتاباً ، والصحيح : مثلًا–سميعًا–كتابًا ، ومـن الخطـأ الشـائع أيضًـا وضـع رسـم الشـدة علـى الألـف نحـو : إلاّ–ألاّ–كـلاّ والصـحيح إلّا–ألّا–كـلّا ، وقـد اسـتدركتُ فـي مؤلفـاتي هـذا الخطـأ الـذي يتعلّـق بالرسم في كثير من المواضع ، وفاتتني مواضع كثيرة أخرى